الكعبة المشرفة

١٤٢٨ هجرية — ٢٠٠٧ م

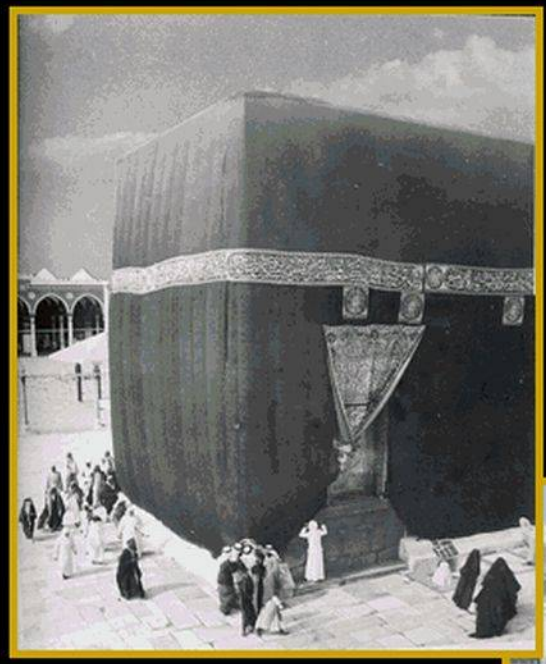

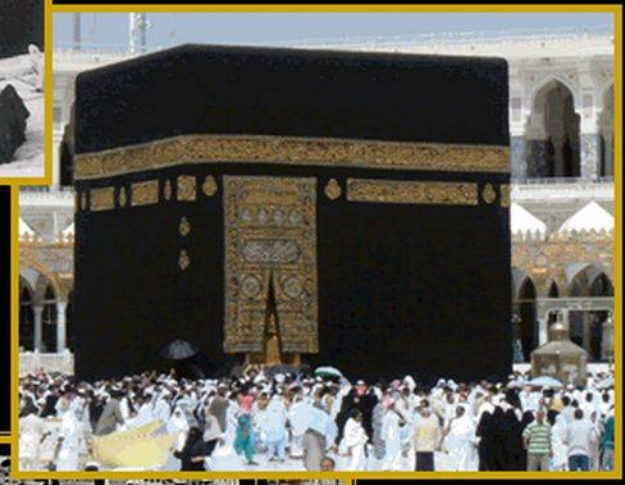

الكعبة المشرفة

أعده من مصادر متعددة

أبو مروان محمد الثقفي

صادر من موقع الثقافي

برعاية منتدى الرحلات

ذو القعدة ١٤٢٨ هجرية
ديسمبر ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

الكعبة المشرفة تعتبر قبلة المسلمين الخالدة منذ بدء الخليقة ، فهم يتجهون إليها في أغلب عباداتهم ، وسوف يظلون كذلك إلى أن يشاء الله ويرث الأرض ومن عليها ، وإن ارتباط المسلم بها ليس مقصورا على أشهرٍ معلومات ولا محصورًا في أيام معدودات ، ولكنه ارتباط دائم ووشائج لا تنقطع ، فهو يبدأ يومه ويستفتح عمله كما يختم نشاطه بالتوجه إليها ، حين يقف بين يدي ربه قائماً يؤدي الصلوات الخمس الموزعة بانتظام في يومه وليلته ، ناهيكم بالنوافل والأدعية والأذكار التي يشرع فيها استقبالها.

إن بيت الله المحرم هو الوجهة الدائمة التي ترافق العبد المؤمن في كل حياته ، ليس مرتبطا بموسم ولا محصوراً في فريضة ، بل حتى حين يوسد في قبره دفيناً فإنه يوجه إلى البيت الحرام والكعبة المشرفة ، فهي قبلتنا أحياءً وأمواتا.

من أجل هذا نضع بين يديك أخي القارئ الكريم هذا الكتاب الإلكتروني الذي سوف يعطيك صورة متكاملة عن الكعبة المشرفة بعد فراغك من قراءته ، من حيث منشؤها ، وبناؤها ، وعلاقة إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام بها ، وما تعرضت له من أحداث على مر العصور ، وكل ما له علاقة بها أو مرتبط بها من الحجر الأسود والمقام وصولاً حتى الكسوة ، كل هذا من خلال الكلمة والصورة والأشكال التوضيحية.

ويسعد معده أن يتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من قام بمطالعة هذا الكتاب ومراجعته حتى ظهر بهذا الشكل ، ويأمل أن يكون فيه فائدة وإضافة علمية ومعلوماتية لكل من يقرأه.

هذا وما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان.

والله الموفق.

تقديم

(تم نشره في كتاب تاريخ الكعبة المعظمة)

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

عندما يقوم رجال العلم بالتأليف عن الكعبة الشريفة فإن ما يقدمونه من عمل يعد من أجل الأعمال وأفضلها ، خاصة وأنهم يكتبون عما تهفو إليها أفئدة الملايين من المسلمين من كل أنحاء الدنيا.

والمعروف أن فضل الكعبة على سائر الأمكنة قدره الله سبحانه وتعالى ، فهي أول بيت وضع للناس كما تقول الآية : { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ } ، وهي التي يتجه الناس إليها في صلواتهم خمس مرات في اليوم والليلة وأكثر من ذلك ، يقول جلّ وعلا : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } وقال العلماء : إن المراد بالمسجد الحرام هو الكعبة المشرفة.

والكعبة المشرفة جعل الله صلاة المسلم عندها بمائة ألف صلاة ، ففي حديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام). وهي التي جعلها الله مكان أمن وطهرها لعبادة الذين يأتون إليها ويطوفون بها سبعة أشواط ويؤدون الصلاة أمامها ، قال تعالى : { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }.

ولهذا فإن معرفة تاريخ الكعبة أمر يهم جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فجزى الله خيراً من كتب عنها من رجال الإسلام ، فهي خير مكان يستحق الكتابة والبيان.

أ. د. يوسف بن على بن رابع الثقفي

كتبه كتقديم المعلق
لكتاب تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدنتها
من تأليف حسين بن عبد الله باسلامة

أوليّتها في البناء :

قال تعالى { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ } قيل وضعت قبل خلق الأرض ، وقيل أول بيت عبد الله فيه ، لأن وضعه دون عبادة لا معنى له ، ولأنه لو بني قبل خلق الخلق لما انطبق عليه قوله سبحانه { وُضِعَ لِلنَّاسِ }.

كانت ولا زالت الكعبة المشرفة تحظى بالتقديس والإكبار حتى في عصور الجاهلية قبل الإسلام. وبقيت هذا الكعبة المشرفة خالدة ورمزا للعبادة ، وشعارا للتوحيد وهي القبلة التي يصلى إليها ، ويستقبلها المسلمون في صلواتهم المفروضة ، والنافلة. وتتعلق بها أحكام شرعية عديدة ذات صلة وثيقة بركنين من أركان الإسلام ، الصلاة والحج ، وكذلك بعض العبادات كالعمرة ، و التوجه إليها في الدعاء وغير ذلك.

وقد مرّت عمارة الكعبة المشرفة بأطوار ومراحل عدة ، وكانت قريش لا تبيت بمكة ليلاً ، لئلا تكون جنباً عند البيت ، ثم سكنوا حول الكعبة ، وكانت قريش لا تبني بيوتها مربعة كالكعبة ، وكانت بيوتهم أقل ارتفاعاً من الكعبة ، وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن بناء البيوت أعلى من الكعبة ، وكذلك شيبة بن عثمان.

أسماء الكعبة المشرفة :

والكعبة المشرفة بناء مكعب تقريبا (الشكل الهندسي لمسقط الكعبة المشرفة هو الشكل المختلف الأضلاع ، إي لا يوجد فيها أضلاع متساوية) ، ولهذا سميت الكعبة ، لتكعيبها وهو تربيعها وقيل لعلوها ونتوئها وبروزها ، والكعبة المشرفة لها عدة أسماء أخرى وردت في القرآن الكريم منها :

الكعبة : { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ }
البيت : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا }
البيت العتيق : { وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ }
البيت الحرام : { وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ }
البيت المحرم : { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ }

البيت المعمور : { وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ } على أحد القولين ، والقول الثاني أنه في السماء

وتسمى بالقبلة لأنها تستقبل ، وكل ما يستقبل فهو قبلة
وتسمى (الحمساء) وكانت قريش تنتسب إليها فيقال لهم الحمس

بناء الكعبة المشرفة :

لقد بنيت الكعبة المعظمة اثني عشرة مرة إذا اعتبرنا البناء من الجذور والبناء الترميمي الشامل.

بناء الملائكة عليهم السلام للكعبة المشرفة ، ثم آدم عليه السلام ، ثم شيت عليه السلام ، ثم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ثم العمالقة ، ثم جُرْهُم ، ثم قصي بن كلاب ، ثم قريش ، ثم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، ثم الحجاج بن يوسف الثقفي ، ثم السلطان مراد خان وأخيرا بناء خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز آل سعود.

بناء الملائكة وآدم عليهم السلام للكعبة المشرفة :

أول من بناء الكعبة المشرفة قيل إنه آدم ، وقيل الملائكة ، وقيل غيرهما. واستدل من قال ببناء الملائكة للكعبة المشرفة بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم فتح مكة : (إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض) ، وتحريمها بسبب الكعبة المشرفة ، فلا بد من وجودها ، وذلك قبل خلق آدم.

وكذلك يستدل بأن تكليف الصلاة كان لازماً في دين جميع الأنبياء عليهم السلام ، بدليل قوله تعالي: { أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا } فدلت الآية على أن جميع الأنبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله ، والسجدة لا بد لها من قبلة ، قال تعالى { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ } ، وهذا يدل على أن هذه الجهة كانت أبداً مشرفة مكرمة.

ورجح بعضهم أن آدم أول من بنى الكعبة والمسجد الأقصى وبينهما أربعون سنة ، لأن بين إبراهيم عليه السلام - الذي يقال إنه بنى الكعبة - وسليمان عليه السلام - الذي يقال إنه بنى بيت المقدس - أكثر من ألف سنة.

يقول باسلامة : أن بناء الملائكة ، وبناء آدم ، وشيت ، قد ورد فيها عدة روايات عن كثير من الصحابة ، والتابعين من أهل العلم ، وكلها تثبت ذلك - إلا أنهم لم يرفعوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يصرحوا أنهم أخذوها عن بني إسرائيل ، ولذلك تجد كثيراً من المفسرين قد اعتمدوا عليها ، وذكروها في تفاسيرهم غير إن ابن كثير فإنه قد صرح بعدم قبولها ، وجزم أنها من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ، والذي جعل بعض المحققين من أهل العلم لا يعتمد عليها لكونها لم تأت عن طريق الوحي ، ولم يرد فيها حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم صريح في كيفية البناء ، غير بعض الأحاديث التي أغلبها موقوف على بعض الصحابة ، وفيها ما هو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بسند ضعيف.
وأن أخبار وروايات العمارات الثلاث للكعبة المشرفة ، وهي بناء الملائكة ، وآدم ، وشيت فهي من الأخبار التاريخية ، التي إن ثبتت وصحت لا تخل بشئ من أصول الدين الحنيف ، ولا فروعه ، وإن لم تصح ، فلا يتوقف على صحتها عدم وجود الكعبة المشرفة من يوم خلق الله السموات الأرض ، فقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم فتح مكة : (إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض).

بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة شرفها الله :

أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة المشرفة بعد انهدامها ، فبنى الكعبة وعمره ١٠٠ سنة ، وإسماعيل ٣٠ سنة ، وقيل دلّه جبريل على مكان الكعبة ، (وكان ذلك في ١٨٢٤ ق م) ، وكان بناء إبراهيم غير مسقوف ، ولم يصل بين حجارتها بمدر ، ولم يجعل للبابين خشباً ، وجعل فيها جباً لهدايا الكعبة ، وكان ارتفاعها تسعة أذرع ، أي ما يعادل ٤،٣٢ م.

وهذه قصة البناء :

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقا لتعفّي أثرها عن سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبإبنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء . ثم قفّى إبراهيم منطلقا ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له : آلله الذي أمرك بهذا ؟ قال : نعم.
قالت : إذا لا يضيعنا. ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثمَ دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال :
{ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال : يتلبَط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثمَ استقبلت الوادي تنظر ، هل ترى أحدا ؟ فلم ترى أحدا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت ، هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم (فلذلك سعى الناس بينهما).

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت صه - تريد : نفسها - ثمَ تسمعت ، فسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه - أو قال : بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف ، قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينا معينا).
قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن ها هنا بيت الله ، يبني هذا الغلام وأبوه ، فإن الله لا يضيَع أهله.

وكان البيت مرتفعا من الأرض الرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرّت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من كداء فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرا عائفا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريا أو جريين (أي : رسولا) فإذا هم بالماء ، فأقبلوا - قال : وأم إسماعيل عند الماء - فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا : نعم.

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فألفى ذلك أم إسماعيل ، وهي تحب الأنس).

نزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشبّ الغلام – إسماعيل – وتعلم العربية منهم ، وأعجبهم حين شبّ ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعدما تزوّج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيأتهم ؟ فقالت : نحن بشرّ ، نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يغيّر عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني : كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول لك غيّر عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، ألحقي بأهلك. فطلّقها ، وتزوّج منهم أخرى.

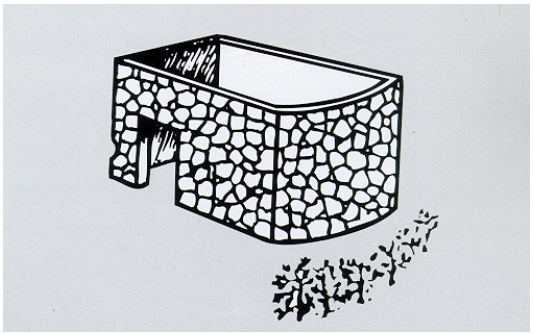

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه ؟ فقالت : خرج يبتغي لنا. قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيأتهم ؟ فقالت نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله عز وجل ، فقال : وما طعامكم ؟ قالت اللحم. قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء. قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ولم يكن لهم يومئذ حبّ ولو كان لهم حب دعا لهم فيه) ، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه.

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبّت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني : كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير. قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبّت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك.

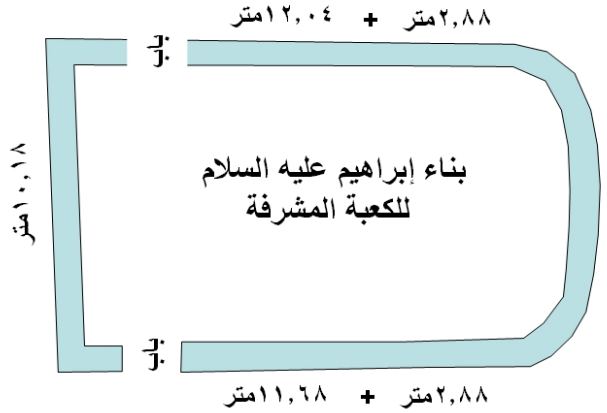

ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال : فاصنع ما أمرك ربك. قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك. قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : { رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } ، ويدوران حول البيت.

قال ابن كثير : وفي هذا السياق { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ } ما يدل على أن قواعد البيت كانت مبنية قبل إبراهيم ، وإنما هدي إبراهيم إليها وبوئ لها ، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون.

بناء العمالقة الكعبة المشرفة :

روى الأزرقي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال في خبر بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة : ثم انهدم - يعني البيت المشرف - فبنته العمالقة ، ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم.

بناء جرهم الكعبة المشرفة :

كان البيت قد دخله السيل من أعلى مكة فانهدم ، فأعادته جرهم على بناء إبراهيم عليه السلام ، ووضعوا لها باباً له مفتاح ، واستمرت جرهم في الإشراف على الكعبة لمدة ٣٠٠ عام حتى لهوا وطغوا وأخذوا المكوس.

فغلبهم بنو إسماعيل على الكعبة فأشرفوا عليها ، فخرجت جرهم من مكة بعد غلبة خزاعة عليها ، فنزلوا في وادي إضم فهلكوا.

واستمرت خزاعة في الإشراف على البيت حتى نفى قصيّ (أول من سمي القرشي) خزاعة - ورئيسهم أبو غبشان - واشترى منه مفتاح الكعبة بزقّ خمر ، ثم لما تولى بمكة أطعم الحجاج - بعد أن جمع المال من قومه - وذبح البهائم ، فدانت له العرب.

وحاول تبع الأول هدم الكعبة ، فهزمته قريش ، وكذلك تبع الثاني ، وقدم تبع الثالث - وهو تبع الحميري - لهدمها فتعرض لعاصفة ثم مرض مرضاً شديداً فتاب ، وأقام بمكة ستة أيام وكسى الكعبة وحلق رأسه ، وجعل للكعبة باباً ثانياً. وقيل : إن تبعاً لم يرد غزو الكعبة ، وإنما أشار عليه بعضهم بسرقتها ، فأبى وجاء البيت فطافه.
وكانت هناك محاولات لهدم الكعبة غير ذلك تصدّت لها قريش.

بناء قصيّ الكعبة المشرفة :

وأن قصيّ بن كلاب لما ولي أمر البيت ، جمع نفقته ، ثم هدم الكعبة فبناها وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل وقام بإخراج الحجر الأسود من زمزم - بعد أن دفنته خزاعة - فوضعه للناس قبل بناء قريش للكعبة.

وتوزعت قريش الوظائف : فالسقاية لبني المطلب - المطلب بن عبد مناف بن قصيّ ، والرئاسة لبني عبد مناف ، والرفادة - إطعام الطعام - لبني أسد بن عبد العزى ، والحجابة ودار الندوة لبني عبد الدار بن قصيّ ، ثم ضمّ عبد المطلب بن هاشم الرفادة إليه بعد عمه المطلب. وكانت قريش تفتح الكعبة يوما الاثنين والجمعة.

حادثة أصحاب الفيل :

في عهد عبد المطلب وقع حدث عظيم خلده القرآن الكريم ، وهو حادثة أصحاب الفيل ، حيث أن أبرهة الحبشي الذي يحكم اليمن ، بنى له كنيسة سماها القليس ، وأرد أن يصرف إليها حج العرب من الكعبة ، فغضبت العرب لذلك ، وأتى رجل كناني فأحدث فيها ، فلما علم أبرهة بذلك غضب وأقسم ليسيرن إلى البيت فيهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار ومعه الفيل. فلما قرب أبرهة من مكة وتهيأ لدخولها وهو مجمع أمره على هدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ، وكان من أمرهم أنه كلما وجهوا الفيل إلى مكة برك ، فضربوه ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام أو المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة المكرمة برك. فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحد إلا هلك ، فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء فمات هناك.

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ }

بناء قريش للكعبة شرفها الله في ٦٠٦ م :

قامت قريش ببناء الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، وذلك بسبب احتراق كسوتها بشرارة من مجمرة امرأة من قريش كانت تبخرها ، وكانت الكسوة عليها ركاماً بعضها فوق بعض ، فلما احترقت الكعبة المشرفة وهنت جدرانها من كل جانب ، وجاء سيل جارف فدخل الكعبة المشرفة وصّدع جدرانها ، ففزعت من ذلك قريش فزعاً شديداً ، وخافوا أن تنهدم ، وهابوا هدمها ، وبينما هم ينتظرون ويتشاورون جنحت سفينة بالشعيبة (جنوب جدة) وهي يومئذ ميناء مكة المكرمة ، فسمعت بها قريش ، فاشترت خشبها وأعدوه لسقف الكعبة ، فلما قدموا به مكة أجمعوا أمرهم على هدم الكعبة وأخرجوا ما كان فيها من حلية ومال وقرني الكبش (الذي ذبحه إبراهيم عليه الصلاة و السلام) ، وجعلوه عند أبي طلحة بن عبد الله ، وأخرجوا هبل ، ونصب عند المقام. ولما اجتمع لهم ما يردون من الحجارة والخشب وغيره غدوا على هدمها ، فخرجت الحية التي كانت في بطنها تحرسها ، تمنعهم من هدمها ، فلما رأوا ذلك قال لهم الوليد بن المغيرة : يا قوم ، ألستم تريدون بهدمها الإصلاح ؟ قالوا بلى ، قال : فالله لا يهلك المصلحين ، لا تدخلوا في عمارة بيت ربكم إلا طيب أموالكم ، ولا تدخلوا فيه مالاً من ربا ، ولا من مال ميسر ، ولا مهر بغي ، وجنبوه الخبث من أموالكم ، وما لم تقاطعوا فيه رحماً ، ولم تظلموا فيه أحد من الناس ، فإن الله لا يقبل إلا طيباً. ففعلوا ، فقاموا عند المقام يدعون ربهم ويقولون : اللهم إن كان لك في هدمها رضاً فأتمه ، وأشغل عنا هذا الثعبان ، فأقبل طائر من جوّ السماء كهيئة العقاب والحية على جدر البيت فاغر فاها ، فأخذ برأسه ثم طار به.

وجزأت قريش الكعبة المشرفة أربعة أجزاء حسب جوانبها ثم ربعت القبائل أرباعاً ، على أن يتولى كل قوم الهدم والبناء في جانبه. ولكنهم ترددوا في الإقدام على الهدم خشية أن يلحقهم الأذى ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها ، فعلا البيت وفي يده معول ، وبدأ الهدم وهو يقول اللهم لم ترع ، إنما أردنا إلا الإصلاح ، فهدم من ناحية الركنين. فهدمت قريش معه في اليوم التالي عندما رأته لم يصبه شيء ، حتى بلغوا الأساس الذي رفع إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة

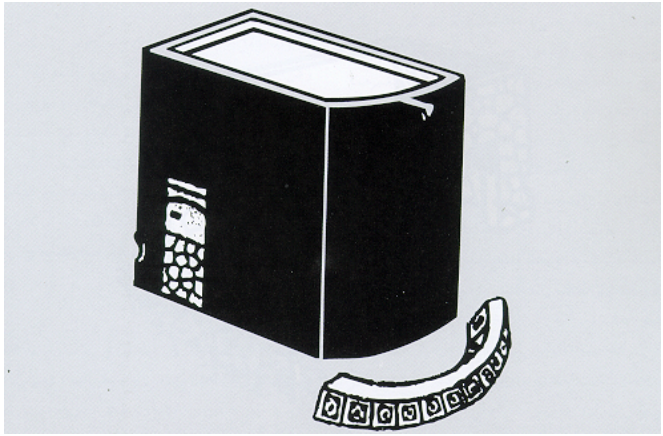

والسلام ، القواعد من البيت ، صخور متصلة متماسكة كأسنمة الجمال ، وشارك النبي صلى الله عليه وسلم في البناء بنقل الحجارة ، وكان سنّه صلى الله عليه وسلم ٣٥ سنة ، ووضع بيده الشريفة الحجر الأسود في موضعه في القصة المشهورة.

وقد قصرت بقريش النفقة ، فأخرجوا من بنائها من جهة حجر إسماعيل تقريباً ثلاثة أمتار (٢,٨٨ متر) ، ورفعوا بابها عن مستوى المطاف ليدخلوا الكعبة المشرفة من أردوه ، وسدوا الباب الخلفي المقابل لهذا الباب ، وسقفوا الكعبة المشرفة بالخشب وجعلوه على ست دعائم في صفين ، وجعلوا لها ميزابا يسكب في حجر إسماعيل عليه السلام ، وعملوا سداً يصرف الماء عن الكعبة المشرفة ، ورفعوا بناء الكعبة المشرفة ليكون ١٨ ذراعاً ، إي ما يعادل ٨،٦٤ م ، بعد إن كان ٤,٣٢ متر.

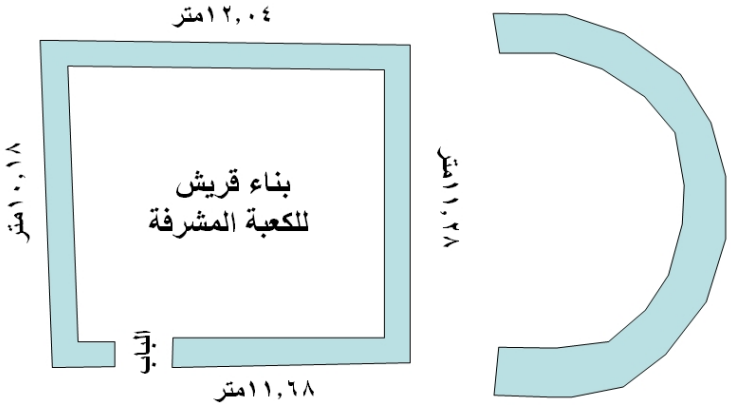

وزوقوا سقفها وجدرانها الداخلية ودعائمها ، وجعلوا فيها صور الأنبياء ، وصور الملائكة ، كما عملوا صورة لإبراهيم الخليل عليه السلام يستقسم بالأزلام ، وصورة مريم في حجرها عيسى عليهم السلام أجمعين ، والظاهر أن هذا من عمل البناء والنجار النصراني باقوم الذي استعانت به قريش.

فلما فرغوا من بناء الكعبة المشرفة ردوا مالها وعلقوا الحلية وقرنا الكبش ، ونصبوا هبل كما كان قبل ذلك ، وكسوها حبرات يمانية ، وقيل كسوها الوصائل.

وفي السنة الثامنة للهجرة ، فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة ودخل المسجد الحرام وأزال ما به من الأصنام والأوثان ، التي كان عددها يبلغ ثلاثمائة وستين صنماً ، وأنه أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يمحو الصور التي في الكعبة المشرفة.

وأنه صلى الله عليه وسلم دخلها وما فيها شيء من الصور ومعاليق أهل الجاهلية ، وصلى بها ، فبذلك كان فتح مكة المكرمة تطهيراً للكعبة المشرفة والبيت الحرام من شرك وأوثان الجاهلية ، ثم استدعى عثمان بن طلحة وسلمه مفتاح الكعبة قائلاً له : (خذوها يا بني عبد الدار خالدة تالدة إلى يوم القيامة، لا ينزعها منكم إلا ظالم).

بناء عبد الله بن الزبير في سنة ٦٤ هجرية - ٦٨٣ م :

لما أرسل يزيد بن معاوية الحصين بن نمير مع جيشه إلى مكة المكرمة لقتال ابن الزبير ، استولى الحصين على مكة كلها إلا المسجد الحرام ، حيث لجأ ابن الزبير وأصحابه إليه ، فبنوا حول الكعبة المشرفة بيوتا من القصب ورففاً من الخشب يستترون فيها من حجارة المنجنيق ويستظلون بها من الشمس ، وكان الحصين بن نمير قد نصب المنجنيق على جبل أبي قبيس وقعيقعان يرمي بها الكعبة المشرفة ، وكانت الحجارة تصيب الكعبة المشرفة ، حتى تمزقت كسوتها وترجرجت حجارتها ، وضعفت جدرانها ، واستمر الحال على ذلك أياماً ، ولقد اختلف المؤرخون فيمن هو المسئول عما أصاب الكعبة المشرفة من حريق ، حيث قيل إن أحد أصحاب ابن الزبير أوقد نارا طارت شرارة في الخيمة ، فاحترقت الخيام وسببت حريقاً في المسجد ، حتى تعلقت النار بكسوة الكعبة المشرفة في يوم ذي رياح شديدة ، والكعبة المشرفة يومئذ مبنية ببناء قريش مدماك من خشب ومدماك من حجارة ، ومنهم من قال سبب الحريق أصحاب الحصين رموها بالنفط ، فاحترقت الكعبة المشرفة ، وكان ذلك ليلة السبت الثالث من ربيع الأول لعام ٦٤هجرية ، واحترق مع الكعبة المشرفة الحجر الأسود ، وتصدع إلى ثلاث فرق ، وانشطرت منه شظية كانت عند آل شيبة بعد ذلك بدهر طويل (شدّه ابن الزبير عند إعادة بنائها بالفضة إلا تلك الشظية) ، ففزع لهذا الأمر الذي أصاب الكعبة المشرفة أهل مكة وأهل الشام جميعا. ولم يزل الحصين محاصراً ابن الزبير حتى وصل خبر وفاة يزيد بن معاوية ليلة هلال ربيع الآخر من العام نفسه ، فترك الحصين الحصار ، وغادر بجيشه مكة المكرمة ، تاركاً الكعبة المشرفة وقد تهدمت معظم أجزائها.

أعلن عبد الله بن الزبير نفسه خليفة للمسلمين ، وأمر بكنس المسجد وتنظيفه مما فيه من الحجارة والدمار ، والكعبة المشرفة قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق والحريق ، وهي متوهنة ترتج من أعلاها إلى أسفلها. ودعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم ، وقال : يا أيها الناس ، أشيروا عليّ في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها ، أو أصلح ما وهي منها ؟
فأشار عليه ناس كثير بهدمها ، منهم جابر بن عبد الله ، وأبى أكثر الناس هدمها ، وكان أشدهم عبد الله بن عباس ، الذي قال : فإني قد فرق لي رأي فيها ، أرى أن تصلح ما وهي منها وتدع بيتاً أسلم الناس عليه ، وأحجاراً أسلم الناس عليها ، وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم. فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدد ، فكيف ببيت ربكم ؟ إني مستخير ربي ثلاثاً ، ثم عازم على أمري. فلما مضت الثلاث أجمع رأيه على هدمها ، وكان يحب أن يكون هو الذي يرده على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد إبراهيم عليه السلام.

قال ابن الزبير : إني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لولا الناس حديث عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ، ولجعلت فيه من الحجر خمسة أذرع ، ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه) قال : فأنا اليوم أجد ما أنفق ، ولست أخاف الناس.

فلما اجتمع لابن الزبير عدة البناء كاملة ، أخذ ما في باطن الكعبة المشرفة من حلية وغيرها ، ووضعها في دار شيبة بن عثمان إلى أن أتم البناء. ولما أراد هدم الكعبة المشرفة ، خرج أهل مكة إلى منى ، خوفاً أن ينزل عليهم عذاب لهدمها ، ولم يرجعوا حتى أخذا في بنائها ، وبعضهم بقي في مكة منهم ابن عباس لم يغادرها.

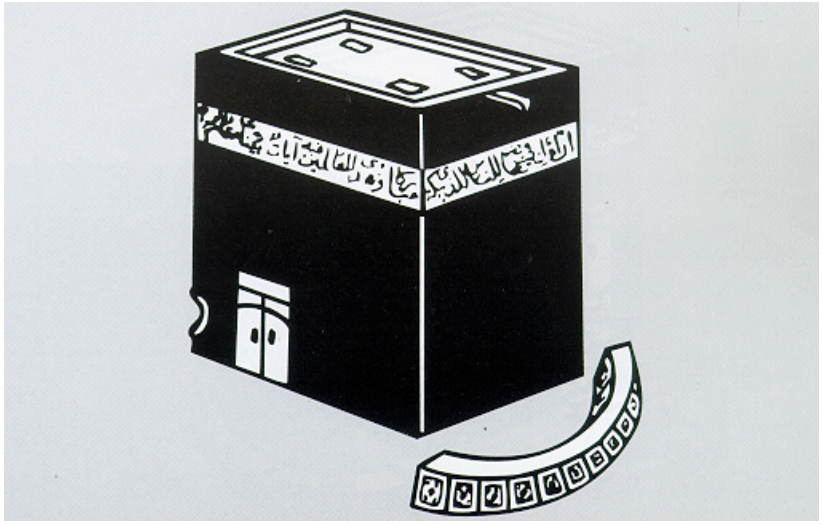

فأمر ابن الزبير بهدمها ، فتلكأ العمال عن نقضها ، وما اجترأ أحد على ذلك ، فعلاها بنفسه وابتدأ هدمها في يوم السبت نصف جمادى الآخر عام ٦٥هجرية ، فلما رأى الناس أنه لم يصبه شيء تبعه الناس في ذلك ، وتم هدمها في نصف نهار وألصقها بالأرض من جوانبها جميعاً. وجعل ابن الزبير الحجر الأسود في ديباجة وأدخله في تابوت وقفل عليه ووضعه في دار الندوة. وكان في بعض جدار الكعبة قرنا الكبش ، لما مسهما ابن الزبير همدا من الأيدي ، وقيل إن قرني الكبش احترقا لما احترقت الكعبة المشرفة.

وأرسل ابن عباس إلى ابن الزبير : لا تدع الناس بغير قبلة ، انصب لهم حول الكعبة الخشب ، واجعل عليها الستور يطوف الناس من ورائها ويصلون إليها.

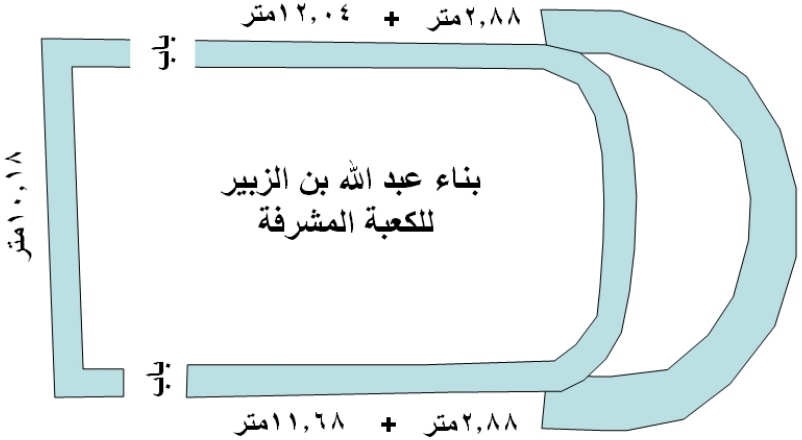

فلما هدمها وسوها بالأرض ، كشف أساس إبراهيم عليه السلام وظهرت لهم القواعد التي بني عليها البيت ووجد أنها داخلة في الحجر بمقدار ستة أذرع وشبر (٢,٨٨ متراً) ، كأنها أعناق الإبل آخذا بعضها ببعض ، فإذا حرك الحجر من القواعد تحركت معه الأركان كلها ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس وأشرافهم وأشهدهم على ذلك الأساس ، ثم وضع البناء على ذلك الأساس ، وجمع حجارتها من الجبال التي جمعت منها الحجارة حين أرادت قريش بناء الكعبة المشرفة ، وهي جبل حراء وثبير والمقطع والخندمة وحلحلة وجبل الكعبة ومردلة. وجعل باب الكعبة الشرقي على مدماك الشاذروان الملاصق للأرض ، وجعل الباب الآخر الغربي بإزائه في ظهر الكعبة مقابله تماما ، ثم لما وصل البناء إلى موضع الركن وضع الحجر الأسود في مكانه على حال غفلة من الناس (والأرجح أنه اختلف فيمن وضع الحجر الأسود في مكانه) وشدّه بالفضة ، فلما بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعاً ، وكان هذا طولها يوم هدمها ، استقصره لأجل الزيادة التي زادها من حجر إسماعيل فيها ، فقال ابن الزبير : قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولاً في السماء ، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع أخرى ، فبناها ٢٧ ذراعاً ، إي ما يعادل ١٢،٩٥ مترا ، وهو ارتفاعها الحالي ، وجعل عرض الجدار ذراعين ، أي ما يعادل ٠,٩٣ متراً ، وجعل فيها ثلاث دعائم تحمل السقف في صف واحد من الشمال إلى الجنوب.

وبهذا أعاد بناءها على قواعد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، تيمنا بما كان يتمناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غير إنه جعل ارتفاعها ضعفي ما كانت عليه في عمارة الخليل عليه السلام.

وبني روازن السقف برخام مجلوب من صنعاء وجعل باب الكعبة مصراعين بدل المصراع الواحد الذي كان قبل ذلك ، وطوله أحد عشر ذراعا ، وجعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب معرجة يصعد فيها إلى السطح ، وجعل في سطحها ميزابا يسكب في الحجر وبعد أن فرغ من بنائها طيب جوفها بالعنبر والمسك كما لطخ جدارها الخارجي بالمسك من أعلاها إلى أسفلها ، وسترها بالديباج ، وبقيت من الحجارة بقية فرش بها حول البيت على مداره عشرة أذرع.

وكان الفراغ من عمارة البيت في السابع عشر من رجب سنة ٦٥ للهجرة. ثم اعتمر هو وأصحابه من التنعيم ماشياً شكراً لله عز وجل على ما أنعم من المعونة والتيسير في بناء بيته الحرام ، على الصفة التي كان عليها مدة الخليل إبراهيم عليه السلام ، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوراً ، أهدى فيه ابن الزبير مائة بدنة ، وأهدى أهل مكة المئات من الأنعام ، ولم يبق من أشراف مكة وذوي الاستطاعة فيها إلا وأهدى وأعتق ، ولما طاف استلم الأركان الأربعة جميعاً ، وقال : إنما كان ترك استلام هذين الركنين لأن البيت لم يكن تاماً.

بناء الحجاج بن يوسف في سنة ٧٤ هجرية - ٦٩٣ م :

أما بناء الحجاج بن يوسف الثقفي فلم يكن بناء شاملا بل كان نقضاً لجزء من بناء ابن الزبير وتعديله ليكون مثل الشكل السابق لبناء ابن الزبير. وهو البناء الوحيد المعروف والذي تم بدون سبب من هدم أو حرق ، حيث لم تتأثر الكعبة المشرفة من أحجار المنجنيق خلال حصار الحجاج لابن الزبير بمكة المكرمة ، كما حصل لها من قبل أثناء حصار الحصين بن نمير لابن الزبير في مكة المكرمة السابق ذكره.

بعد ما انتهت محاصرة ابن الزبير وقتله وصلبه من قبل الحجاج ، كتب سنة ٧٤ هجرية إلى عبد الملك بن مروان ، إن ابن الزبير زاد في البيت ما ليس منه ، وأحدث فيه باباً آخر. فكتب إليه عبد الملك أن سدّ بابها الغربي الذي كان فتحه ابن الزبير ، واهدم ما كان زاد فيها من حجر إسماعيل ، واكبس أرضها بالحجارة التي تفضل من أحجارها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبراً (٢,٨٨ متراً) مما يلي حجر إسماعيل ، وبناها على أساس قريش الذي كانت استقصرت عليه ، كما أشار عليه به عبد الملك ، ولم يعمل في هذه الجهة شاذروناً كما عمل ابن زبير في هذه الجهة من قبل ، وسده الباب الذي في ظهرها ، ورفع عتبة باب الكعبة المشرفة عن أرض المطاف ، أربعة أذرع وشبر (٢،٢٥ مترا) ، وكبس أرضها بالحجارة التي زادت من أحجارها ، وأبقي ما زاد من طولها على بناء ابن الزبير ، وترك سائرها لم يحرك منها شيئاً. ثم ندم عبد الملك على هذا الفعل ، وتمنى لو أبقاها كما كانت من عمل ابن الزبير.

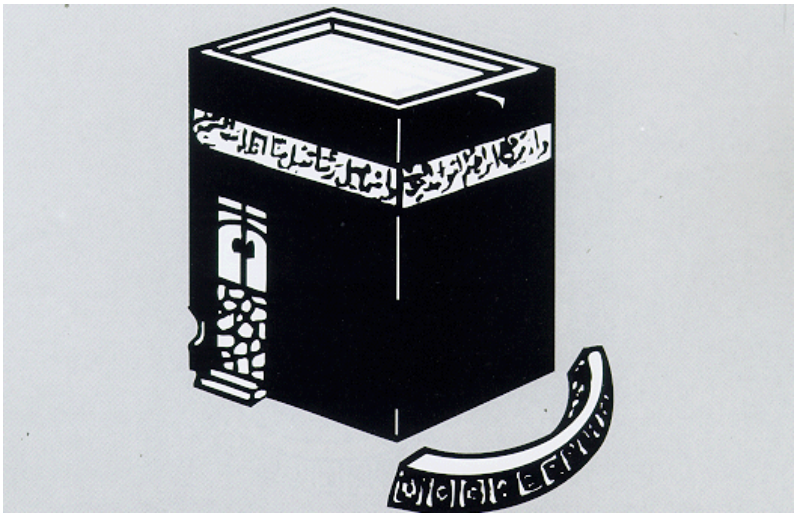

روى مسلم في صحيحه عن عطاء قال : فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، يخبره بذلك ، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة.

فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاد في طوله فأقره ، وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه ، وسدّ الباب الذي فتحه. فنقضه وأعاده إلى بنائه.

وروى مسلم أيضاً عن عبد الله بن عبيد : وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبد الملك : ما أظن أبا خبيب - ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها. قال الحارث : بلى أنا سمعته منها. قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن قومك استقصروا من بنيان البيت ، ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه ، ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقياً وغربياً ، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : لا. قال : تعززاً أن لا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط ، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه ، فهلمي لأريك ما تركوا منه ، فأراها قريباً من سبعة أذرع). قال عبد الملك للحارث أنت سمعتها تقول هذا قال نعم. فنكث ساعة بعصاه ، ثم قال : وددت أني تركته وما تحمّل. وفي رواية : قال : لو كنت سمعت قبل أن أهدمه ، لتركته على ما بنى ابن الزبير.

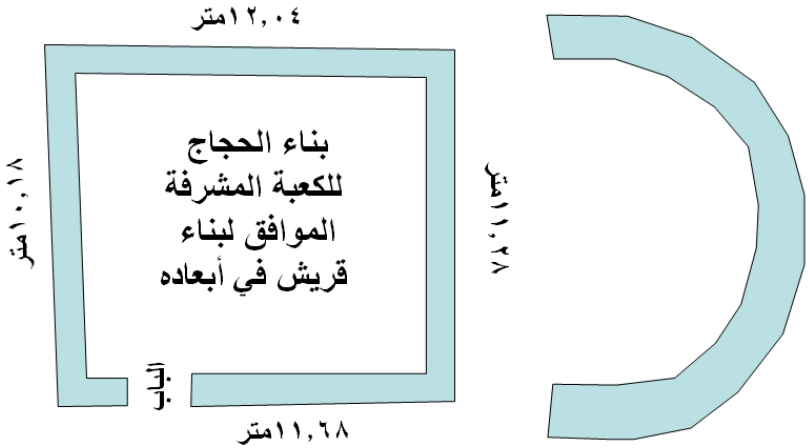

وذكر إن الخليفة سليمان بن عبد الملك كان يحب أن يرد الكعبة المشرفة على ما بناها ابن الزبير ، ولم يمنعه من ذلك إلا كون الحجاج صنع ذلك بأمر أبيه عبد الملك بن مروان. وكذلك ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد ، أو أبيه المهدي ، أنه سأل الإمام مالك ابن أنس عن هدم الكعبة المشرفة ، وردها إلى ما فعله ابن الزبير ، فقال له مالك : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين ، لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك ، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها ، فتذهب هيبته من صدور الناس. فترك ذلك الرشيد.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره الأحاديث التي رواها مسلم في صحيحه ، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، والمتقدم ذكرها ، بالقول : فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكن جيداً ، ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال ، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله.

وبقيت الكعبة المشرفة على حالها ، من يوم أن اقتطع الحجاج منها ما أدخله ابن الزبير فيها من حجر إسماعيل ، وسد بابها الغربي ، ورفع بابها الشرقي ، حتى وقع في جدران الكعبة المشرفة تصدع عام ١٠١٩ هجرية في عهد السلطان أحمد العثماني ، وكذلك في جدار الحجر، وكان من رأي السلطان هدم بناء الكعبة وإعادة بنائها من جديد ، إلا أن المهندسين أشاروا عليه بدلا من ذلك بعمل نطاق من النحاس الأصفر المطلي بالذهب ، واحد علوي وآخر سفلي ، ورغم ذلك لم تصمد الكعبة طويلا وتهدمت جدرانها عقب أمطار غزيرة عام ١٠٣٩ هجرية الموافق ١٦٢٩ م ، وسيل عظيم لم يرى الراؤون مثله ، فكان سبباً لسقوط معظم الكعبة المشرفة ، وذلك بعد تسعمائة وأربع وسبعين سنة من بناء ابن الزبير.

بناء السلطان مراد في سنة ١٠٤٠ هجرية - ١٦٣٠ م :

في ١٩ شعبان سنة ١٠٣٩هجرية في عهد أمير مكة الشريف مسعود بن إدريس بن حسن ، سقط على مكة المكرمة مطر عظيم ، ابتدأ من صباح يوم الأربعاء ، وأشتد نزوله بين صلاتي الظهر والعصر ، وصاحبه برد ، استمر إلى ليلة الخميس ، وجرى منه في آخر يوم الأربعاء سيل وفيضان كبير لم تشهد مكة مثله قط ولم يرى الراؤون مثله ، أغرق المسجد الحرام إلى نصف جدار الكعبة المشرفة ، وأخرج أمتعة أهل مكة المكرمة ومات نحو ألف شخص ، ففتحت سراديب باب إبراهيم لخروج الماء ، وفي آخر نهار يوم الخميس سقط الجدار الشامي للكعبة المشرفة وبعض الجدارين الشرقي والغربي ، وسقط طوق الحجر الأسود ، فأخرجت القناديل العشرين من الكعبة ، وهي مذهبة ومرصّعة باللؤلؤ ، وبعض المعادن والميزاب ، ووضعت عند محمد الشيبي ، وفي يوم الجمعة بعد تنظيف المسجد رفعت الحجارة الساقطة ووضعت في أنحاء الحرم. وفي يوم السبت اتفق العلماء على أن تعمر الكعبة من مالها (أي قناديلها) ، والمبادرة إلى العمارة مّمن له على إمارة الحرمين الشريفين ، وأن المخاطب بهذا هو السلطان مراد العثماني الذي هو صاحب الولاية العظمى ، ثم نائبة الشريف.

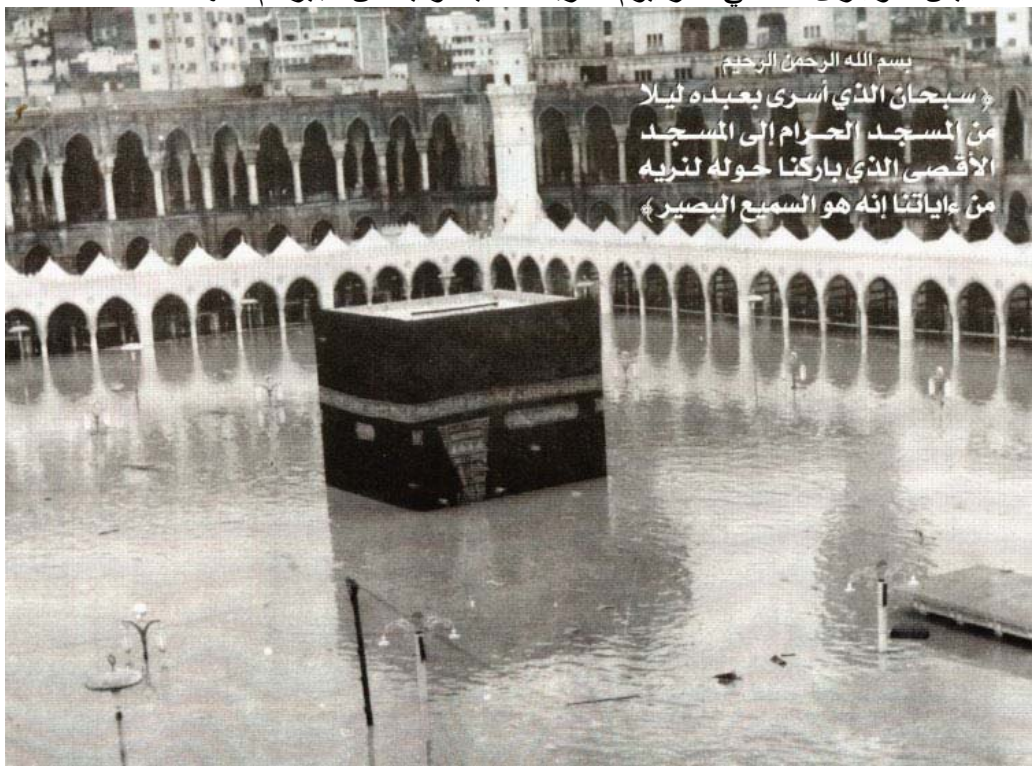

وفي اليوم نفسه أمر الشريف المهندسين والفعلة بتنظيف المسجد الحرام مع باطن الكعبة المشرفة ، فأدخلت الأبقار للمسجد الحرام لحرث الوحول المتراكمة ولحمل الطين ، وانتهى التنظيف في ١٠ رمضان ١٠٣٩ هجرية ، وتم أخذ ١٠٠٠ دينار ، أجوراً للعمال من صاحب جدة من المال المجتمع عنده للسلطنة العثمانية.

فأرسل والي مصر محمد على الألباني مندوباً من قبله خوّله صلاحية تامة لاتخاذ التدبير المستعجلة في إصلاح الكعبة. وعمل خشب حول الكعبة لسترها وكان لاصقاً بالكعبة ، وستر بكسوة خضراء في ٢٣ شوال ، ثم عمل سياج آخر من الخشب يبعد عن الكعبة ستة أذرع من جميع الجهات في ٢٢ ربيع ثاني ١٠٤٠ هجرية. ووصل مندوب السلطان العثماني مكة وباشر العمل بالاشتراك مع مندوب والي مصر. وفي يوم الاثنين ٢٧ ربيع ثاني سقط مطر فوقعت على أثره حجران من الجدار الغربي ، وأحجار صغار أيضاً. وفي نفس اليوم وصلت أول الأحجار الكبار التي اقتطعوها للكعبة من جبل الشبيكة (والمسمى حالياً جبل الكعبة). وفي ١٩ جمادى الأولى قرر العلماء والمهندسون هدم بقية الجدارين الشرقي والغربي ، وفي ٢٥ منه وضعت الكسوة في مقام إبراهيم والباب في بيت قاضي مكة ، وفي آخر جمادى الأولى شرعوا في هدم الجدارين وإزالة أخشاب السقف والميزاب ، وفي ٢ جمادى الثانية هدم الجدار اليماني بعد سؤال رفع لعلماء مكة المكرمة مضمونه (هل يجوز هدم الجدار اليماني إذا شهد المهندسون بوهنه وسقوطه إن لم يهدم ؟) فأجاب بعضهم بجواز الهدم ، وخالفهم آخرون بعدم الجواز. وفي ٣ منه قلعت العتبة الشريفة والركن اليماني والشاذروان ، وفي ٤ منه نقض السقف ووضع الخشب والرخام والرصاص في سقاية العباس ، وقد وصلوا في عملية الهدم إلى المدماك أو الصف الأول من الحجارة الذي على وجه الأرض ، وقام بناء الكعبة المشرفة عليه ، لذلك لم تتغير أبعاد الكعبة ، ولا بصورة جزئية ، وفي ٢٣ منه وضع أساس الجدارين الشامي والغربي من قبل الأعيان ، ووضعت العتبة ، ثم ذبحت القرابين.

وفي يوم الاثنين غرة شهر رجب وضع الركن اليماني ، وفي ٤ منه وضعت العتبة الشريفة ، وفيها نقب لخروج الماء ، وفي ٩ منه ستر الحجر الأسود بخشب ، وبدئ بإزالة الطوق الفضي ، فانكسر بعض الحجر الأسود ، فتوقفوا ، واكتفوا بإصلاحه ومساواته بباقي الجدار ، وذلك بحضور الأعيان والأشراف ، وكان لون الحجر الأسود من الداخل أبيض ، وعدد قطعه ١٣ قطعة أربعة منها كبار ، وعملوا مركباً من عنبر ولادن ، وأعادوا به الفتات من الحجر ، وبعد تمام الإلصاق وضعوا عليه الطوق ، وفي نفس اليوم ذاب من حرارة الشمس ، فعمل خليط آخر من القلفونية ، والاسبيذاج (رماد الرصاص) ، والسندروس (صمغ) ، وأضافوا إليه المسك والعنبر ، وقليلاً من الفحم للسواد ، وألصق منتصف ليلة ١٠ رجب ، وفي ١١ منه تم تمويه الحجر الأسود بالفضة ، وفي ٢٢ منه وضع مصراعا الباب المصفح بالفضة المعمولان من قبل السلطان سليمان ، وفي ٢٣ منه وضع الباب الشريف المصنوع من قبل السلطان بيبرس ، وفي يوم الأربعاء غرة شعبان رفعت جميع الستاير الخشبية التي نصبت حول الكعبة ، وفي ٨ منه وضعت قواعد الأعمدة الداخلية في الكعبة التي جيء بها من الشام ، وفي ١١ ، ١٢ منه نصبوا الأعمدة على قواعد من الحجارة مطوقة بالحديد ومخلوطة بالرصاص ، وفي ١٨ منه دهنت الأعمدة بالجير والزعفران وطلوا ذلك بغرا الجلود ، وفي ٢٨ منه عمل السقف الأول ، وفي ٢٥ شعبان عمل السقف الثاني ، وفي ٢٩ منه ركب الميزاب الذي صنعه السلطان أحمد خان ، وفي غرة شهر رمضان سنة ١٠٤٠ هجرية ألبست الكعبة المشرفة ثوبها ، وفي ٢ منه وضع رخام سقف الكعبة ، وفي ٣ منه تم عمل الشاذروان بعد ثلاثة أسابيع من بدئه ، وكان قد تكسر من رخامه عشرة ، فأبدلوها برخام جديد وضعوه في الجانب الغربي ، وفي ٩ منه نصب الدرج الداخلي للكعبة ، وفي ١٠ منه عمل جدار الحِجر ، وفي ٢٠ منه وضع الباب الحديد للدرج الداخلي للكعبة ، وفي ٢١ منه أحضر خليط آخر للحجر الأسود ، وفي ٨ شوال تم ترخيم وجه جدار الحجر ، وأصلح الرخام المتكسِّر في المطاف وأصلح مقام إبراهيم وأبواب المسجد عموماً.

وفي ٦ ذي القعدة كتب تاريخ العمارة على لوح رخام داخل الكعبة المشرفة على الجدار الغربي ، وهو أواخر شهر رمضان ١٠٤٠ هـ في عهد السلطان مراد بن أحمد بن محمد ، وفي ٢٢ منه علقت قناديل الكعبة المشرفة ، وفي ٢ ذي الحجة انتهى البناء والإصلاح بحمد الله بعد ستة أشهر ونصف من ابتدائه ، وتكلف بناؤها ١٦٠٠٠ جنيه ذهب.

وتاريخ عمارتها إذا اعتبرناه من بداية المباشرة في هدم ما تبقى من أنقاضها ، فيكون يوم السبت نهاية جمادى الأولى ١٠٤٠ هجرية ، وإذا اعتبرناه من بداية وضع أول أساس في البناء فيكون يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام ١٠٤٠هجرية. وكان الانتهاء الكامل من جميع أعمال البناء المتعلقة بالكعبة المشرفة هو في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة لعام ١٠٤٠هجرية ، وهي آخر عمارة للكعبة المشرفة استمرت على وضعها إلى عهد الترميم الشامل للكعبة المشرفة الذي تم في عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمة الله.

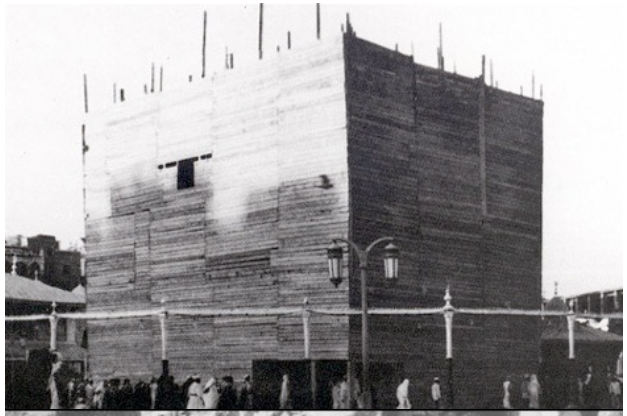

ترميم الملك سعود لسطح الكعبة المشرفة:

في أول شهر محرم لعام ١٣٧٧هجرية ظهر أن سقف الكعبة المشرفة يحتاج إلى ترميم ، وذلك بقرار لجنة علمية وفنية أمر بتشكيلها جلالة الملك سعود.
فصدر أمره السامي في آخر شهر المحرم لنفس العام إلى مدير الإنشاءات العمومية الشيخ محمد بن عوض بن لادن بالقيام بعمارة سقفي الكعبة المشرفة والترميم ، حيث بدئ بالعمل في الحادي والعشرين من جمادى الثانية ١٣٧٧هجرية بنصب ستار خشبي مرتفع حول الكعبة المشرفة من جميع جهاتها فيما عدا موضع الحجر الأسود والركن اليماني وحجر إسماعيل عليه السلام . ونصبوا ممر السقايل إلى السقف من حجر إسماعيل عليه السلام . وأحضرت الأخشاب ومكونات المونة وجميع المعدات اللازمة للترميم كاملة ثم بدأ العمل بعد ذلك.

وفي ضحى يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رجب الحرام حضر ولي العهد الأمير فيصل بن عبد العزيز نيابة عن أخيه الملك سعود وارتقى سطح الكعبة المشرفة مع بعض الضيوف والمسئولين وهدم بيده جزءا بسيطا من إفريز السطح إعلانا لبدء العمل.

ثم كشف السقف الأعلى كشفا تاما ، وركبت الميدات على الحيطان الأربعة ووضع عليها أخشاب السقف باتجاه الشرق إلى الغرب وثبتت بالمونة البلدية الجيدة وجعلت تحت رؤوسها عودان من الخشب ، أحدهما في الجدار الشرقي والثاني في الجدار الغربي ، وتحت هذه الأعواد من الوسط كمرة رأساها في الجدار الشمالي والجنوبي لحمل السقف الأعلى ، كما عملت كمرة أخرى لحمل السقف الأسفل ، وفرش على السقف ألواح الخشب ، ثم بنيت سترة السطح القصيرة بارتفاع ٨٠ سم ، وهو ما يسمى (الطنف) ، وثبت فيها من الجهات الأربعة أسياخ معدنية قوية لتعليق ثوب الكعبة المشرفة عليها بعد أن كانت من الخشب سابقا ، ودهن خشب السقف بالسليقون وفرش عليه القلع المشمع ، فطبقة من المونة ثم طبقة من طوب العاقول الأحمر ثم طبقة من الخلطة والمونة البلدية القوية ، ثم غطيت بنفس الرخام الأبيض الذي

كان على السطح بعد تنظيفه. مع مراعاة الميول تجاه الميزاب الذي يسكب في حجر لسيدنا إسماعيل عليه السلام. ثم أذيب الرصاص وصب بين أطراف الرخامات ليحكم تثبيتها وعدم تسريبها لمياه الأمطار ، ثم وضع رخام الإفريز على الجوانب الأربعة عموديا بارتفاع ٢٥سم ، ورممت فتحة باب الدرج الذي بأعلى السطح وأبدل غطاؤها بغطاء جديد ملبس بالمعدن القوي الجميل.

ولقد استخدم الصالح من الخشب القديم للسقف إلى جانب الأعواد الجديدة ، وتم ترميم السقف الأدنى باستبدال الخشب التالف منه الذي كان مفروشا على أعمدة ثلاثة ممتدة من الشرق إلى الغرب ولم يستبدل منها سوى العمود الأوسط الأبيض الذي كان على السطح بعد تنظيفه. عملت بعض الترميمات الخفيفة في لياسة جدار داخل الكعبة المشرفة ورخامات الأرضية والحائطية.

أما ميزاب الكعبة المشرفة فهو الميزاب الذي عمله السلطان عبد المجيد خان عام ١٢٧٣هجرية من الفضة الخالصة الملبس بالذهب وهو من المتانة بحيث أنه لم يظهر عليه القدم ، فأعيد إلى مكانه بعد ترميم القاعدة الخشبية له وإعادة غرس المسامير الرأسية عليه والتي تمنع الحمام والطيور من الوقوف عليه.

وكذلك رمم خشب باب الكعبة المشرفة والعتبة وجدار كتف الباب ، ورمم درج داخل الكعبة المشرفة ولم يغير منها ولا عتبة واحدة. ورممت الأعمدة الثلاثة الحاملة للسقف والتي وضعها عبد الله بن الزبير ترميما سطحيا خارجيا حيث أنها محتفظة بسلامتها رغم مرور أكثر من ١٣٠٠ عام عليها. وهذه الأعمدة لها تيجان علوية مزخرفة ، وقواعد مربعة منقوشة ، وطولها غير المغروس منها في أرض الكعبة المشرفة هو ٧ أمتار ، وقطر كل منها ٤٤ سم تقريبا ، وفي الثاني من شهر شعبان ١٣٧٧هجرية أعلن رسميا عن انتهاء الترميم لسقف الكعبة المشرفة وما احتاجت إليه من ترميمات جانبية.

ترميم الملك فهد الشامل في سنة ١٤١٧ هجرية - ١٩٩٦ م:

أثرت العوامل الجوية على بناء الكعبة المشرفة بعد مرور ٣٧٦ عاما على الترميم الشامل الذي تم عام ١٠٤٠هجرية ، فظهرت أثارها على شكل تقشرات وفجوات في أوجه الحجارة الخارجية لجدار الكعبة المشرفة ، وكذا نخر وشقوق في لياسة الفواصل بين الحجارة شمل الأجزاء العليا والسفلى من الحوائط الخارجية.

مما أستدعى القيام بدراسة استكشافية لجدار الكعبة المشرفة وسقفها ، بالملاحظة الظاهرة ، وبالحفر الاختباري ، لأخذ عينات عشوائية عميقة ، فكانت النتيجة أن تبين وجود الكثير من حشرات الأرضة والفطريات ، مستترة بين الفواصل وتحت اللوحات ، أما السقف فقد تبين تآكل وتلف فيه كبير ، فالأعمدة الخشبية والأكسية المكونة من خليط الطين والرمل والجير ، كلها غزتها الحشرات الدقيقة والفطريات ، ساعدتها الرطوبة على التكاثر والنمو فأكلت ونخرت ، وكانت نتيجة الدراسة اعتبار الإصلاحات والترميمات أمر ضروري لابد منه.

وفي شهر محرم عام ١٤١٦هجرية الموافق يونية ١٩٩٥م ، بدأت عملية ترميم الكعبة المشرفة ترميماً شاملاً من داخلها وخارجها ، وكانت البداية من جدار الكعبة

المشرفة الخارجي ، وكان ذلك عن طريق استخدام السقائل المكشوفة دون وضع سواتر حاجزة في الخارج. ولقد أخذ هذا الترميم الخارجي أسلوب نخر الفواصل بين الحجارة وتفريغها إلى أبعد مدى يحتاجه الترميم من التفريغ وبما لا يؤثر على أصل العمارة ، ثم تنظيفها التنظيف التام ، ولقد وجد في الشقوق آثار رطوبة ربما تسربت بين الحجارة بفعل العوامل الجوية وغيرها ، كما أن الأرضة أو العتة ، قد اتخذت من هذه الفواصل مرتعا لها ، وبعد نخر الفواصل وتنظيفها نظفت أسطح الحجارة الخارجية لجدار الكعبة ، وشطف المفتت من قشرتها الرخوة والرطبة وكذا فجواتها ثم غسلت جميعها ، وجففت تماما بقوة النفخ الآلي.

يظهر في الصور أعلاه مدى التآكل بالجدار والحجارة ، وكذلك تفريغ المونة القديمة من بين أحجار الجدار الخارجي دون تحريك الحجارة الضخمة من موضعها وتبين الصورة الأخيرة الجدار بعد ملء الفراغات بين الأحجار بمواد قوية والتي استخدمت لتزيد من تماسك الأحجار ببعضها.

وبعد دراسة كاملة لنوعية صخور الكعبة المشرفة ، ومطابقة الأوصاف على جبال مكة المعروفة ، أخذت صخور مجانسة لصخور الكعبة المشرفة ، ثم صنع من كسارتها عجينة ، عوملت معاملة كيماوية وعلمية خاصة ، بمستحضرات مواد ماسكة ، تعطي صلابة أعلى من الأساس الصخري ، فكسيت بها الأسطح الخارجية للحجارة ، وخشن سطحها بواسطة قوالب مصنوعة تحاكي خشونة وحفيرات السطح الطبيعي للصخور ، دق بها المعجون السطحي قبل أن يجف فأعطت الشكل النهائي بما لا يختلف في شيء عن الأصل الطبيعي. أما الفواصل المفرغة فقد حقنت بمواد قوية صنعت خصيصا لهذا الغرض تعطي قوة تماسك يبقى مفعولها أكبر عمر افتراضي ممكن ، وتم الحقن عن طريق آليات متطورة بدفع قوي حتى تتخلل المواد هذه أدق جزئيات الفراغات الداخلية فلا تبقي أثر الفراغ ، ومن ثم سوي السطح الخارجي لهذه الفواصل بما يظهر على شكل خطوط مستقيمة ، أفقية ورأسية ، وتكون مربعات مستطيلة حسب شكل الحجر وتربيعه ، ولإعطاء شكل توازني لشكل مربعات خطوط الفواصل تم إضافة بعض الخطوط الطولية على الحجارة الكبيرة. وقد عملت هذه الفواصل من المواد بصورة بارزة ونافرة قليلا بعد أن كانت قبل الترميم إلى حد ما غائرة ، وهذا البروز البسيط يعطي الفواصل حماية أكبر من تأثير العوامل الجوية عليها. وتم هذا الترميم في شهر شعبان عام ١٤١٦ هجرية الموافق ديسمبر ١٩٩٥ م.

ثم توقف العمل خلال الفترة من شهر رمضان إلى نهاية شهر ذي الحجة ، بسبب مواسمي الحج والعمرة ، وأكمل العمل في العاشر من شهر محرم عام ١٤١٧ هجرية ، الموافق السابع والعشرين من شهر أبريل ١٩٩٦م.

وأول ما بدئ به فيه هو بناء ستار خشبي أبيض يحيط بالكعبة المشرفة ، ولا يظهر منها إلا ما يحتاجه الطائفون من استلام الحجر الأسود ، وبارتفاع يتجاوز مسامتة سطح الكعبة المشرفة بقليل ، ويترك بينه وبين جدار الكعبة المشرفة مسافة تسمح بالحركة والعمل وبقدر الحاجة ، ثم جعل باب الدخول إلى محيط الستار الداخلي في الناحية الشمالية الغربية ، وباب آخر في الناحية الجنوبية الغربية للانصراف والخروج.

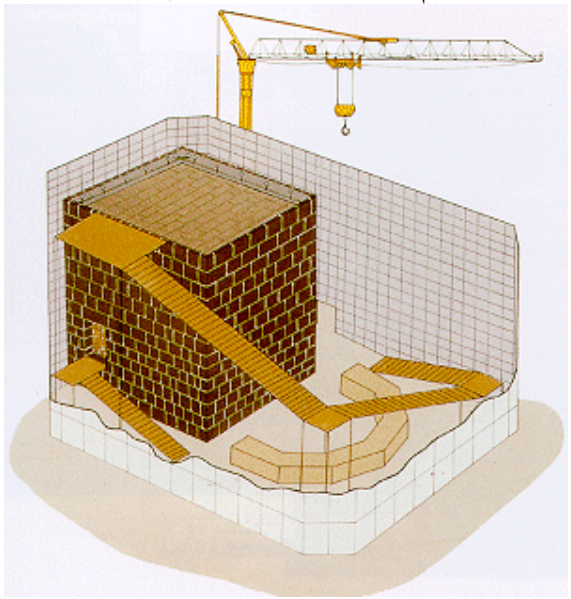

وقد كان من أسلوب الحكمة في العمل أنه في الأسابيع الثلاثة الأولى أذن لكافة الناس الدخول إلى الكعبة المشرفة من خلال الستار الحاجز ، فكان الناس بعد الصلوات يتقاطرون صفوفا طلبا لدخول الكعبة المشرفة ، وكان العمل منظما بحيث يدخل عدد في حدود طاقة الساحة الداخلية للكعبة المشرفة وبعد خروجهم يؤذن لغيرهم ، وفي خلال هذه الفترة استطاع الألوف من الناس أن يدخلوا الكعبة المشرفة ، ليكونوا شهداء عيان يصفون للناس ما بداخل الكعبة المشرفة من شقوق ظاهرة في اللياسة ، ومن أن العملية تحتاج إلى ترميم كامل ، وهذا الإشهاد المباشر سنة اتبعها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، في الإشهاد على ضرورة الهدم ثم ضرورة الوقوف عند قواعد البيت القوية المتينة عند البناء ، ليظهر أن العمل منبثق عن ضرورة ، وأن كل شيء من محتويات ما قبل الترميم سيعود إلى مكانه بعد الترميم.

ثم بعد ذلك نحيت لواصق الجدران من لوحات تاريخية وغيرها ، وحفظت مع مقتنيات الكعبة المشرفة من الهدايا والتحف وجميع المنقولات بعد تنظيفها ، وأخذت جانباً منعزلاً مصاناً.

يظهر في الصور تأكل العوارض الخشبية في الجدارن ، وكذلك التآكل في قاعدة أحد الأعمدة ، والتشققات في الجدارن الداخلية.

وبدأ بإزالة السقف وكذالك الأعمدة الحاملة له ، لأنه يمثل الجزء الأكثر تعرضاً للتلف بسبب التكوين الخشبي الذي يكون معه نشاط دودة الخشب والفطريات والرطوبة أكبر منه في الجدار الصخري ، فأزيل السقف كاملاً.

كما تمت إزالة اللياسة الكاسية لجميع الأوجه الداخلية لحوائط الكعبة المشرفة ثم حفرت المواد الماسكة للقطع الحجرية ، وذلك علي أمل أن لا تكون هناك ضرورة لإزالة حجارة البطانة ، إلا أنه بعد المعاينة وجد أن الخلطة قد فقدت تماسكها في الأصل بسبب الحشرات الدقيقة جداً والرطوبة ، مما تسبب معه ضعف تماسك الحجارة ، فأصبح من الضروري فك الأحجار المكونة للجسم الداخلي للحوائط بعد ترقيمها ثم إعادة تركيبها بمواد ماسكة وخلطة تتناسب مع الأسلوب الجديد للبناء وغاياته.

كما لوحظ عدم وجود أي عيوب إنشائية في الحوائط بصفة عامة يكون مصدرها هبوط في التربة القاعدية وصخورها أو ميلان في الحوائط أو غير ذلك.

ولقد وضعت خطة للعمل بحيث لا يؤثر العمل في جزء من الحوائط علي غيره ، ولا يتأثر الجزء العلوي بمجريات العمل في الجزء السفلى ، ولا ينتقل من جزء إلي جزء غيره إلا بعد استكمال الجزء الأول.

لذلك كان التنفيذ علي عدة مراحل متباينة هي كالتالي :

المرحلة الأولي ؛ اشتملت علي المداميك الأربعة العليا (صفوف الحجارة الأربعة العليا) ، حيث نخرت المواد الماسكة في الفواصل بين الصخور الرئيسية مع إبقاء الجزء الخارجي من الحجارة ، وأخرجت حجار الحشوة والحجارة الباطنية ورقمت ونظفت وغسلت ، تهيئة لإعادتها إلى مكانها فيما بعد ، ثم كسيت هذه الفواصل بين الحجارة بمواد ماسكة ذات قدرة عالية جدا في الالتصاق بالصخر ، ثم وضعت حجارة الحشوة والواجهة الباطنية في مواضعها وحقنت الفراغات من الحشوة بمواد أسمنتية ذات مواصفات خاصة من شدة التماسك وعدم التقلص ، وغرست فيما بينها قطع معدنية خاصة بشكل يربط بين أحجار الواجهة الخارجية وأحجار البطانة الداخلية للكعبة المشرفة.

وأصبحت في هذه الحالة المساحة العلوية في حدود المداميك أو صفوف الحجارة الأربعة العليا مكتملة التماسك والإنشاء ، بحيث لن تتأثر بما يتم أسفل منها من أعمال ، ورغم ذلك فالمرحلة التالية لها أخذت أسلوب الاحتياط الكامل بحيث أصبح العمل بصورة رأسية وليس بصورة أفقية.

المرحلة الثانية

المرحلة الثانية ؛ من بعد الصفوف أو المداميك الأربعة العليا حتى منسوب الأرضية الداخلية للكعبة المشرفة ، وتشمل كامل باقي البطانة الداخلية لجدار الكعبة المشرفة بعد الصفوف العلوية الأربعة للحجارة الرئيسية. قسمت الحوائط في هذا الجزء إلى شرائح عمودية أو قوائم كما لو وضعت خطوط متوازية من أعلى إلى أسفل إلا أنها متعرجة حسب تداخل الحجارة ، والمسافة بين كل خطين (عرض الشريحة) يتراوح بين ١,٥ متر و١,٧ متر ، حسب تداخل الصخور. وبعد ذلك تم العمل في الشريحة الأولى أو القائمة الأولى بفك الأحجار الداخلية من أعلى حتى منسوب أرض الكعبة الداخلي والذي يرتفع عن أعلى المطاف بحوالي ٢,٢ متر ، مع الإبقاء على الواجهة الخارجية كما هي ، ورقمت الحجارة المفكوكة. وبناء على ذلك تم تنظيف الفواصل للواجهة الخارجية وكذا تنظيف الحجارة وذلك بالمياه النقية ، وجففت بآلات النفخ ثم حشيت الفواصل بمادة ذات قدرة عالية جدا في قوة التماسك وسرعته وبأسلوب الحقن الآلي ، وبعد التأكد من تصلب هذه المادة وضعت مادة لاصقة ثم حشيت فواصل الواجهة الخارجية بملاط (خلطة) ذات قوة عالية جدا عمرها الافتراضي يعتبر خياليا في عالم العمران. ثم غرست في الخلطة التي حقنت بين فواصل الواجهة الخارجية للجدار قضبان معدنية عوملت معاملة مخبرية وكيماوية خاصة ، تحقق أغراضا إنشائية خاصة وثبتت بمادة التثبيت المصنعة لهذا الغرض ، ومهمة هذه القضبان هي تقوية التلاحم والتماسك بين الأجزاء الخارجية والداخلية من الجدار ، أي بين البطانة والواجهة. وتم رش طبقة الأساس بمبيد للحشرات الدقيقة والمنظورة ، مفعولها طويل المدى جدا.

المرحلة الثالثة

المرحلة الثالثة ؛ الجزء المدفون من منسوب الأرضية الداخلية للكعبة المشرفة وحتى منسوب المطاف الحالي ، وتتمثل هذه المرحلة في حفر أرض الكعبة من منسوبها الذي هو عليه إلى عمق منسوب المطاف ، أي إلى عمق ٢,٢ متر.

لم يكن الإقدام على حفر أرض الكعبة المشرفة بالقضية التي يحسن التسرع فيها ، كما أنه ليس من الحكمة أن يتم ترميم جدار الكعبة المشرفة ترميما شاملا دون تفقد القاعدة التي هي أصل فيها ، لهذا كانت الخطوة الأولى في هذه المرحلة هو الاستكشاف للتعرف على مدى الحاجة إلى النزول في أعماق الترميم إلى القاعدة ، وبناء على ذلك اختير جانب الركن الشامي لأرض الكعبة المشرفة مكانا لحفرة استكشافية تصل حتى منسوب المطاف وباتساع كاف يساعد على الاطلاع الكامل

على حالة الجدار وشيء من الأساسات ، وبعد الحفر والمعاينة وجد أن الحال فيها أفضل بكثير مما كان عليه الحال في الحوائط العليا للكعبة المشرفة ، إلا أن بوادر التأثيرات السلبية للمستقبل كانت ظاهرة ، وذلك فيما إذا ترك الوضع على ما هو عليه ، فاستقر القرار بضرورة الحفر والترميم. وتم الحفر الكامل لأرضية الكعبة المشرفة ثم الترميم بنفس الأسلوب الذي تم به ترميم الحوائط العليا وبنفس التقسيم ، للشرائح الرأسية ، وكأن العملية امتداد متطابق لما تم من عمل في الحوائط العلوية ، إلا أنه من باب الاحتياط امتد عمل الترميم إلى أسفل من مستوى المطاف بما يتراوح بين نصف متر وثلاثة أرباع المتر تقريبًا ، وهي المسافة التي تصل إلى الأحجار المتماسكة ، وهي ما بين أربعة مداميك وخمسة من الأحجار الصلبة التي تماثل أحجار الجدران العلوية ، وهي متراصة الواحد فوق الآخر دون وجود مؤنة بين المداميك . كما لوحظ بروز هذه الأحجار عن سمك الجدار الذي أقيم عليه ، وهي أساس البيت الشريف من عهد إبراهيم عليه السلام ، وإليه كان حفرُ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه حين بنى الكعبة المشرفة ، وأشهد خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم عليه سنة ٦٤ من الهجرة.

وأجمعت جميع الشهادات التاريخية والمشاهدات الحديثة على عدم حدوث أي أضرار نتيجة حدوث هبوط للتربة أو الأساس خلال ثلاثة عشر قرنًا ونصف قرن ، من وقت بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، ثم تعديلات الحجاج بن يوسف الثقفي ، ثم بناء السلطان مراد خان سنة ١٠٤٠هـ إلى يومنا هذا ، وجعل هذا الأمر أن يقرر الخبراء أن الأساس القائم لمبنى الكعبة المشرفة في حالة جيدة وصالحة لأن يقوم عليه البناء دون معالجة من أي نوع لاستقبال أحمال المبنى.

المرحلة الرابعة ؛ تركيب سقف الكعبة المشرفة ، فإن من المعروف أن العنصر الأساسي في تكوينه هو الخشب ، والنوع الأمثل الذي يجب استخدامه في سطح الكعبة المشرفة يجب أن يحمل مواصفات معينة منها :

- مقاومة الأحمال لأطول عمر افتراضي ممكن.
- انخفاض درجة الانكماش لدرجة قريبة من الانعدام.
- مقامة التغير في الأجواء الحارة الجافة.
- مقاومة الأرضة والفطريات والحشرات الدقيقة والرطوبة المتسربة.
- طول الجذوع بما يزيد علي عشرة أمتار وبنفس درجة مقاومة الأحمال مع قطر لا يقل عن متر واحد بعد التهذيب والإعداد للاستخدام.

ولأن هذه المواصفات لا يمكن الحصول عليها بسهولة ، فقد تم الاستعانة بمراكز الأبحاث الخشبية العالمية ، في أوروبا وأستراليا ونيوزيلندا وانتهي البحث العلمي الدقيق علي اختيار خشب شجر التيك ، من بين جميع الأنواع التي تمت دراسة مواصفاتها ، حيث أن خشب التيك المأخوذ من موطنه الطبيعي (غير المزروع في موطن آخر) معروف بمتانته وطول عمره ، ويمكن الحصول على جذوع من أشجاره يبلغ طولها أكثر من عشرة أمتار ، وبأقطار تزيد عن ١,٥م ، وهو طارد للأرضة ويمكن تجفيفه بسرعة وبأقل قدر من التفسخ ، وعند دهانه بالزيت يعطي لمعية جميلة جدا.

ولأن الغابات التي ينبت فيها هذا الشجر تقع في الهند وبورما. فقد تمت زيارة غابات نيلمبور في الهند ، وغابات رانجون في بورما لتفحص الأشجار الموجودة

فيها ، فوجود أن المتطلبات الخاصة لسقف الكعبة المشرفة يمكن الحصول عليها بسهولة من غابات بورما ، وعليه فقد تم تعيين مندوبين من قبل مجموعة بن لادن للتنسيق مع شركات الأخشاب البورمية من خلال وزارة الغابات في بورما ، وذلك لاختيار الأشجار المناسبة من الغابات والإشراف علي قطعها ونقلها إلي المنجرة وانتقاء الأفضل منها وشحنها إلي المملكة العربية السعودية. وقد اشتمل البحث عن أشجار التيك في بورما ، في غابات بايو وكانا ومدييك ، وهى مناطق تبعد ١٠٠٠ كيلومتر عن العاصمة ، وبلغت المساحة التي تم دراستها نحو ١٣٠٠٠ دنم. وتم الاختيار النهائي للأشجار المطلوبة من غابات تبعد ٢٥٠ كيلومتر عن رانجون والتي وجدت أنها الأفضل. وبلغ عدد الأشجار التي تم اختيارها ١٣٧ شجرة ، حيث تم قطعها ونقلها إلي المنجرة ، ثم تم انتقاء ٤٩ قطعة منها للمتطلبات الفعلية للسقف والأعمدة. وتم نقل هذه القطع إلي مدينة جدة حيث عولجت فنياً علي نحو يجعلها صالحة لتسقيف الكعبة المشرفة.

تم تفادي استعمال القطع الطرية من الأخشاب ، وتم اختيار جميع القطاعات للسقف والأعمدة بحيث تكون مماثلة لأكبر الأحجام التي كانت موجودة سابقا ، وتم وضع رءوس حديدية غير قابلة للصدأ على أطراف الكمرات والأعمدة والتي تشكل نقاط التحميل والارتكاز لتوزيع الأحمال عليها ، ثم تم توزيع الأعمدة على مسافات متساوية بحيث تتوزع أحمال السقف بشكل متوازن على جميع الجدران والأعمدة الداخلية. ولقد استعيض عن القواعد الصخرية القديمة لقواعد الأعمدة بقواعد خرسانية مسلحة ، تم حمايتها من تأثير الرطوبة بوضع مواد عازلة حولها ، ثم عملت جدران خرسانية داخلية مع وضع طبقات العزل حولها بحيث تتوزع أعمال الردم حتى منسوب باب الكعبة المشرفة إلى الأرض بدلا من الضغط على الجدران الكعبة المشرفة. ثم تم إعادة تركيب الأعمدة في مواقعها الأصلية ، وكذا أعيدت جميع أجزاء الرخام التي عليها كتابات في مواقعها السابقة داخل الكعبة. ووضع السقف الخشبي ، ثم وضعت طبقة من مواد العزل فوق السقف ، وفوقها طبقة من الخرسانة الخفيفة لحمايتها وتأمين الميول لتصريف المياه عن السطح ، ثم غطي السطح بالرخام على كامل مساحته وجوانبه. كما جُدد السلم الداخلي الموصل إلى سطح الكعبة ، وجُعل درجه من الزجاج القوي المميز ، غطيت فتحته في السطح بنوع من الزجاج ليساعد على الإضاءة داخل الكعبة .

وكذلك جدد رخام الشاذروان القديم برخام جديد يحاكي ألوان ونوعية الرخام القديم ، مع المحافظة على الرخامات القديمة الموجودة تحت ناحية باب الكعبة ، وهي رخامات جميلة ونفيسة ، ومحافظة على جودتها ومتانتها.

وأنشئت إلى جانب الحجر الأسود مصطبة الحراسة ، ذات تكييف سفلي مرتفعة بجدار من رخام يرقى عليها جندي الحراسة لتنظيم عملية تقبيل الطائفين للحجر الأسود.

وتمت أعمال تجديدية لحجر إسماعيل ، شملت إزالة الرخام القديم لجدرانه وأرضيته ، واستبدالها برخام جديد. كما تم تنظيف الفوانيس الموجودة على الجدران وإعادتها إلى موقعها السابق ، وتم عمل حاجز من الحبال لمدخل الحجر متين القوام ، منمق الشكل يتناسب مع مكانة الحجر وتعظيمه ، ويفتح الحاجز بصورة دائمة ، ويغلق عند الحاجة فقط.

وانتهى العمل من الترميم في الثلاثين من شهر جمادى الآخر سنة ١٤١٧هجرية ، الموافق الحادي عشر من شهر أكتوبر ١٩٩٦م.

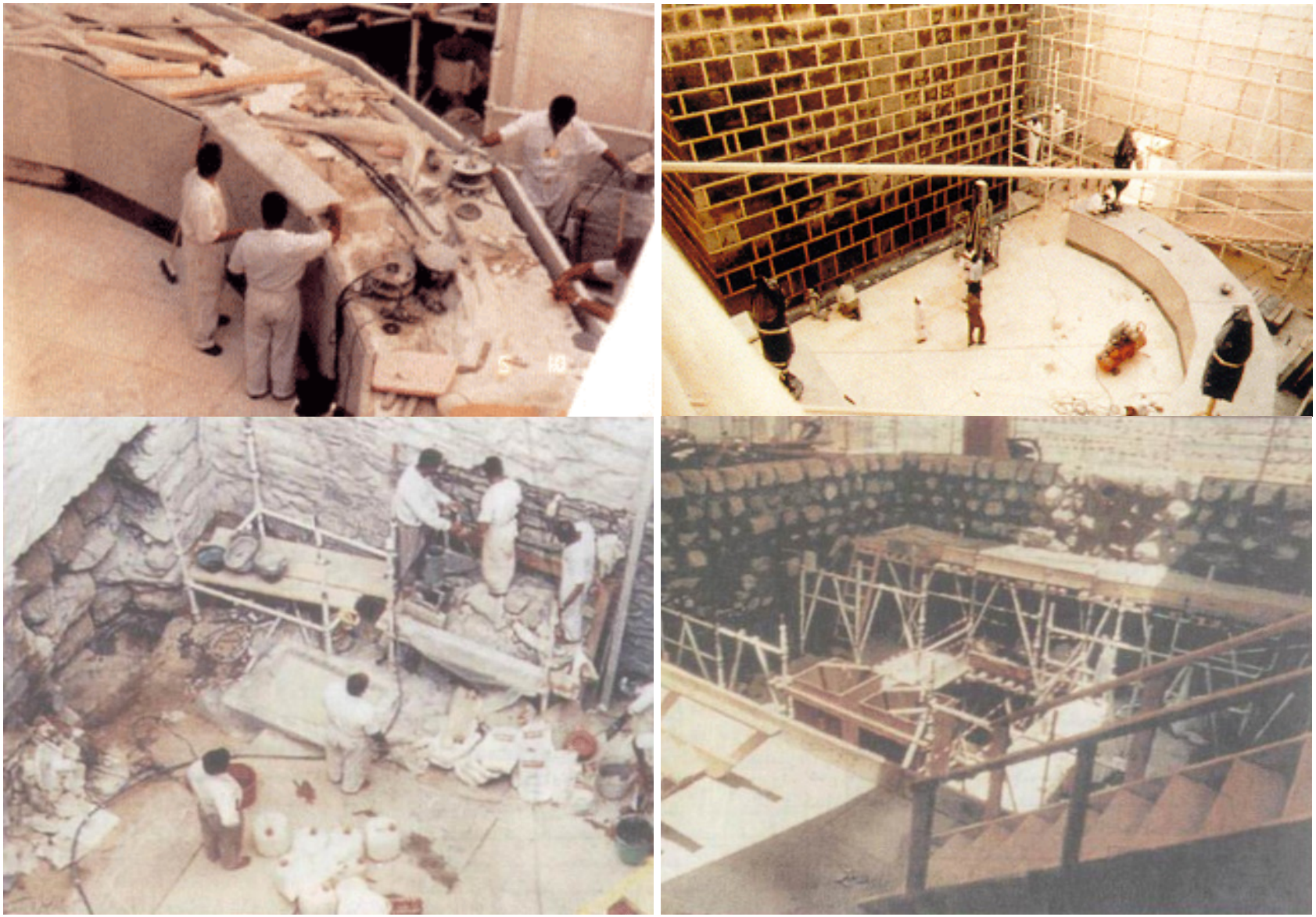

صور متنوعة تبين مراحل مختلفة من ترميم الكعبة المشرفة وحجر إسماعيل عليه السلام

ترميم وإصلاح وبعض مما جرى للكعبة المشرفة :

ومما وقع من ترميمات وإصلاحات في الكعبة المشرفة ، من داخلها وخارجها وسقفها وجدرانها ودرجها بين العمارات السابقة حتى الوقت الحاضر فهو كالتالي :

الوليد بن عبد الملك هو أول من فرش الكعبة المشرفة بالرخام الأحمر والأخضر والأبيض وألواح ملبسة ذهباً وفضة ، ومؤزراً به جدرانها. ثم إن والي مكة المكرمة كتب عام ٢٤٠ هجرية للخليفة المتوكل إنه دخل الكعبة المشرفة فرأى الرخام المفروش به أرضها قد تكسر ، وصار قطعاً صغاراً ، ورأي ما على جدرانها من الرخام قد تزايل ووهى عن موضعه ، فأمر الخليفة المتوكل بتجديد رخام الكعبة المشرفة وانتهي من ذلك في النصف من شعبان عام ٢٤٢ هجرية.
وفي سنة ٥٤٢ هجرية تمت عمارة في سقف الكعبة المشرفة والدرج الذي بباطنها من قبل صاحب الموصل ، الذي أيضاً في سنة ٥٥٠ هجرية عمّر رخام الكعبة المشرفة.
لم يرد تفصيل لعمارة الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ، التي قام بها بالكعبة المشرفة سنة ٦٢٩ هجرية ، لأن في جدار الكعبة المشرفة اليماني من داخلها رخامة مكتوب فيها أمره بالعمارة في السنة المذكورة.
وأمر الملك المظفر صاحب اليمن بتجديد رخام الكعبة المشرفة في شوال عام ٦٨٠ هجرية.
وفي عام ٧٨١ هجرية الأمير سودون باشا حلّى باب الكعبة المشرفة وعمل إصلاح في سطحها بالنورة. وفي عام ٨٠١ هجرية عمّر الأمير بيسق رخام حجر إسماعيل وجدد رخام الحفرة التي في وجه الكعبة المشرفة ، وكشط النورة التي بسطح الكعبة المشرفة التي عملت عام ٧٨١ هجرية ، ونقض في أواخر هذه السنة عتبة باب الكعبة المشرفة العليا ، وعمل عليها الفضة ، وألصق بعض رخام جدار الكعبة المشرفة من الداخل خشي سقوطه.
وفي صفر سنة ٨٢٦ هجرية أصلح الرخام المتخرب في الكعبة المشرفة من قبل الملك الأشرف برسباي الجركسي وكذلك ترميمات بسيطة بسطح الكعبة المشرفة وأصلح في الدرجة أخشاب متكسرة.
وفي محرم سنة ٨٣٨ هجرية شرع سودون المحمدي بأمر السلطان الأشرف قايتباي في هدم سقف الكعبة المشرفة ، وأقامت الكعبة المشرفة مدة بلا سقف ، ثم عمرت وأكملت عمارتها في ربيع الأول ، وأصلحت جوانبها الأربعة بالجص ، وقلع جميع رخام الشاذروان وعوض بغيره. وفي محرم سنة ٨٤٣ هجرية أصلح سودون المحمدي بأمر السلطان الأشرف قايتباي الرخام الذي يعلو سطح الكعبة المشرفة ، وكان سطح الكعبة المشرفة يدلف بالماء وقت المطر فعوض بدله الجص بالنورة. جرت عمارة بجدار الكعبة المشرفة في سنة ٨٤٧ هجرية ، حيث حدث في جدارها بعض الخراب نتيجة سقوط حجران تحت الميزاب ، وأعيدا إلى مكانيهما في محرم من السنة المذكورة بالجص. وفي شهر رجب ٨٨٤ هجرية أمر السلطان الأشرف قايتباي أمر بتجديد رخام الكعبة المشرفة.
وفي سنة ٩٠٠ هجرية تم إصلاح بعض الأحجار التي أزيلت عن موضعها.
وفي سنة ٩٣١ هجرية وقع ترميم سقف الكعبة المشرفة بأن جعلوا طوقاً من الحديد على موضوع الكسر من خشبة السقف ، وحشو الموضع المنخسف بالمشاق والجبس ، فلم يلبث أن زاد الكسر والخسف وكان سببا لتعمير السقف بأعواد جديدة بدل المكسورة في سنة ٩٥٩ هجرية بأمر السلطان سليمان القانوني ، وأمر كذلك بتصفيح باب الكعبة المشرفة.
ووقع في جدران الكعبة المشرفة تصدع عام ١٠١٩ هجرية في عهد السلطان أحمد العثماني ، وكذلك في جدار الحجر، وكان من رأي السلطان هدم بناء الكعبة المشرفة وإعادة بنائها من جديد ، إلا أن المهندسين أشاروا عليه بدلا من ذلك بعمل نطاق من النحاس الأصفر المطلي بالذهب ، واحد علوي وآخر سفلي ، ورغم

ذلك لم تصمد الكعبة المشرفة طويلا وتهدمت جدرانها عقب أمطار غزيرة عام ١٠٣٩ هجرية الموافق ١٦٢٩ م ، وسيل عظيم لم يرى الراؤون مثله ، فكان سبباً لسقوط معظم الكعبة المشرفة ،وإعادة بنائها كما هو مذكور سابقاً في بناء السلطان مراد.
وفي أوائل محرم سنة ١٠٤٥ هجرية تم فرش سطح الكعبة المشرفة بالرخام الأبيض وجدد بابها وأرسل الباب العتيق للسلطان العثماني بناءً على طلبه.
وفي سنة ١٠٧٠ هجرية أمر السلطان محمد الرابع بتجديد سقف الكعبة المشرفة. وفي سنة ١٠٧٣ هجرية انكسرت خشبة من سقف الكعبة المشرفة ، فاقتضى الحال إلى كشف السقف ، وإزالة تلك الخشبة ، وعمر السقف عمارة جديدة.
وفي ربيع الآخر سنة ١٠٩٩ هجرية تم تغيير إفريز السطح الذي تربط فيه الكسوة.
وفي محرم سنة ١١٠٠ هجرية تم أيضاً تغيير إفريز السطح الذي تربط فيه الكسوة.
وفي ذي القعدة سنة ١١٠٦ هجرية تم ترميم جدار بالكعبة المشرفة وتبديل خشبة فيها.
وفي عام ١١٠٩ هجرية بأمر أم خاقان شرع في إصلاح سقف الكعبة المشرفة بإخراج السقف المنكسر ، وتغيير الدرجة المصعدة إلى السطح المحتاجة إلى تغيير.
وفي سنة ١١١٨ هجرية تم بالكعبة المشرفة عمل ما يحتاج إليه من العمارة والترميم في الخشب وغيره.
وفي سنة ١٢٠١ هجرية أرسل السلطان عبد الحميد الأول خمسين أقة من الفضة ، وأمر أن تجعل صفائح مموهة بالذهب ، ويطوق بها بعض العواميد التي في داخل الكعبة المشرفة.
وفي سنة ١٢٥٣ هجرية أصلح فرش الكعبة المشرفة وفرش حجر إسماعيل المرمر الذي جاء من إستانبول.
وفي سنة ١٢٥٩ هجرية أصلحت الأحجار التي حول الحجر الأسود وكذلك بعض أحجار باطن الكعبة المشرفة.
وفي سنة ١٢٩٥ هجرية فرش سطح الكعبة المشرفة بألواح المرمر.
وفي سنة ١٢٩٧ هجرية جدد فرش الكعبة المشرفة ، وغيرت بعض أخشاب سقفها وأصلح بعضها الأخر.
وفي سنة ١٢٩٩ هجرية فرش السلطان العثماني عبد الحميد الثاني باطن الكعبة المشرفة بالرخام.
وفي سنة ١٣١٦ هجرية تم ترميم في سقف الكعبة المشرفة بسبب تصدع بعض رخام السقف ، ونزول ماء المطر من جراء ذلك إلى جوف الكعبة المشرفة ، فعمل معجوناً من النورة وزلال البيض والإسمنت وغير ذلك ، وسد به تلك التشققات.
وفي سنة ١٣٢٨ هجرية وقع في المرابيع الخشب التي يعلق فيها ثوب الكعبة المشرفة بالسطح خراب ووهن ، فعمل بدلها أربعة مرابيع من خشب جلب خصيصاً لذلك بواسطة رئيس السدنة الشيخ محمد صالح الشيبي.
وفي سنة ١٣٣٢ هجرية وقع أسفل الأعمدة الخشب الثلاثة التي بداخل الكعبة المشرفة تشطيب وتصدع ، وحصل ذلك من مياه غسيل الكعبة المشرفة ، ومن دخول السيول جوفها ، فعمل أخشاب أشبه بالطاب على طول القامة ، أحيطت بأسفل كل عامود من الأعمدة الثلاثة ، وسمرت فيها.

وفي سنة ١٤٠١ هجرية الموافق ١٩٨٠ م ، ظهرت نداوة أو رطوبة حول الحجر الأسود ، كما ظهر من سنين تصدع في الرخام المفروش داخلها ، فشكلت لجنة تبين لها أن سبب الرطوبة وندى ، هو تسرب ماء الغسيل داخل الكعبة المشرفة من الأرضية الرخامية على موقع الحجر الأسود ، وتقرر تغيير رخام أرضية الكعبة المشرفة ومراعاة وضع مادة عازلة ، وتغيير الإطار الحديدي المحيط بالحجر الأسود والمثبت عليه الإطار الفضي الخاص بالحجر الأسود ، على أن يكون غير قابل للصدأ ، وبدأت مؤسسة بن لادن العمل يوم ١٤ رجب ١٤٠٣ هجرية ، وتم الانتهاء منه يوم ١٥ شعبان ١٤٠٣ هجرية الموافق ٢٧ مايو ١٩٨٣ م.

أركان الكعبة المشرفة :

والكعبة المشرفة بناء مكعب تقريبا ، وزواياها إلى الجهات الأربع ، والعرب يسمون الزوايا بالأركان وينسبونها إلى اتجاهاتها ، وللكعبة المشرفة أربعة أركان ، منها ركنان مبنيان على أساس قواعد إبراهيم عليه السلام ، هما : ركن الحجر الأسود والركن اليماني. وآخران ليسا على قواعد إبراهيم عليه السلام ، هما : الركن العراقي والركن الشامي.

فالركن الشرقي يسمَّى الركن الأسود ، وسمي به لأن فيه الحجر الأسود ، ويسمى أيضا بالركن الشرقي ، ومنه يبتدأ الطواف

والركن القبلي يسمَّى بالركن اليماني ، سمي باليماني لاتجاهه إلى اليمن

والركن الغربي يسمَّى بالركن الشامي سمي بذلك لأنه إلى جهة الشام والمغرب ، وبين هذا الركن والركن العراقي يقع حجر إسماعيل (عليه السلام) الذي يصب فيه ميزاب الكعبة

والركن الشمالي نسبة إلى جهة الشمال يسمَّى بالركن العراقي ، وبين هذا الركن والركن الأسود يقع باب الكعبة

ويطلق على الركن اليماني والركن الأسود (اليمانيان) ، وعلى الركن العراقي والشامي (الشاميان) ، وربما قيل (الغربيان).

وإذا ذكر الركن فالمراد به الركن الأسود فقط.

أبعاد الكعبة المشرفة :

تم تحديد أبعاد الكعبة المشرفة بالذراع حسب ما ذكره المؤرخون ، وتفاوت هذا التحديد في أبعاد الكعبة المشرفة ، وهو اختلاف طبيعي ناشئ من اختلاف حساب الأذرع ، ما بين ذراع اليد ، وذراع الحديد ، وبينهما فرق في الطول ، فقد جاء في كتاب تاريخ الكعبة المعظمة أن ذراع اليد يتراوح ما بين إلى (٥٠) سم ، وذراع الحديد (٥٦,٥) سم ، بينما تم أخيرا تحديد ذراع اليد بما يعادل (٤٨) سم. وعلى هذا فإن الحديث عن أبعاد الكعبة المشرفة بمقياس الأذرع في العصر الحاضر لا يعطي دقة في التعرف على هذه الأبعاد ، بل يؤدي إلى حيرة ، وذلك لأن المتر وأجزاءه هو لغة القياس المفهوم في العصر الحاضر.

١. فطولها من الجدار الخارجي ، من الركن الأسود إلى الركن العراقي ١١,٦٨ مترا وهو الجدار الذي فيه باب الكعبة.
٢. وطولها من الداخل من الجهة نفسها ٩,٨٩ مترا.
٣. وطول الجدار الخارجي ، من الركن العراقي إلى الركن الغربي ٩,٩٠ أمتـــار وهو الذي جهة حجر إسماعيل.
٤. وطولها الداخلي من جهة حجر إسماعيل ٨,٠٠ مترا.
٥. وطول الجدار الخارجي ، من الركن الغربي إلى الركن اليماني ١٢,٠٤ مترا إي ظهر الكعبة المشرفة.
٦. وطولها الداخلي من نفس الجهة ١٠,١٥ مترا.
٧. وطولها من الجدار الخارجي الذي بين الركن اليماني والركن الأسود ١٠,١٨ مترا.
٨. وطولها الداخلي من الجهة نفسها ٨,٢٤ مترا.
٩. والطول من جدار الكعبة الخارجي إلى وسط جدار حجر إسماعيل ٨,٤٦ مترا.
١٠. سمك جدار الكعبة (عبارة عن جدارين) ٠,٩٣ مترا
١١. ارتفاع باب الكعبة عن أرض المطاف ٢،٢٥ مترا
١٢. أما ارتفاعها ، فقد كان حسب بناء إبراهيم عليه السلام ، بالتحويل إلى وحدة المتر ٤,٣٢ مترا ، وبناء قريش ٨,٦٤ مترا ، وفي بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ١٢,٩٥ مترا ، وحافظ الخليفة عبد الملك بن مروان على هذا الارتفاع في بناء الحجاج وبقي هذا ارتفاعها حتى اليوم.

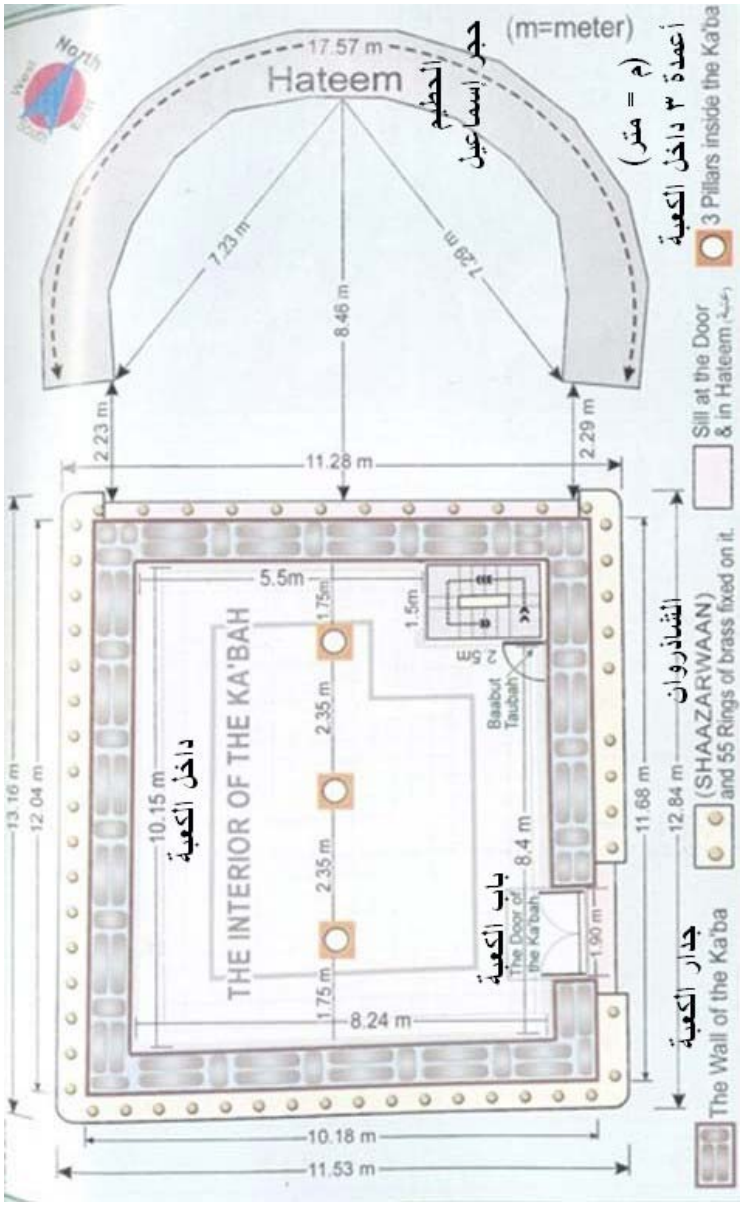

الحجر الأسود يمين الله في الأرض :

قيل ليس من الجنة على الأرض إلا الحجر الأسود ومقام إبراهيم. والحجر الأسود حجرا كريما ما مثله حجر في الدنيا يسمى يمين الله في الأرض بمعنى أنه مقام مصافحة العهد مع الله على التوبة. والحجر الأسود يبدأ منه الطواف في الركن الجنوبي الشرقي من الكعبة المشرفة ، وأصله من يواقيت الجنة ، ولونه المغمور أبيض كلون المقام ، وهو موضع سكب العبرات واستجابة الدعاء ، ويسن استلامه وتقبيله ، وهو يشهد يوم القيامة لكل من استلمه ، ومن فاوضه فإنما يعاهد يد الرحمن ، ومسحه يحط الخطايا حطا . وهو ملتقى شفاه الأنبياء والصالحين والحجاج والمعتمرين والزوار.
روى الترمذي في حديث حسن صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم). وروى الترمذي بحديث حسن وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر الأسود : (والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق). وروى ابن خزيمة في صحيحه واللفظ له وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : فدخلنا مكة ارتفاع الضحى ، فأتى يعني النبي صلى الله عليه وسلم باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء فذكر الحديث وقال : ورمل ثلاثا ومشى أربعا حتى فرغ فلما فرغ قبَّل الحجر ووضع يديه عليه ثم مسح بهما وجهه.

وروى البخاري والترمذي في حديث حسن صحيح عن عامر بن ربيعة قال : (رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول: إني أقبلك وأعلم أنك حجر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لم أقبلك).
لقد خشي عمر رضي الله عنه أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت تفعله العرب في جاهليتها ، فأراد عمر من قوله ، أن استلامه وتقبيله والتمسح به وكذا التمسح بالركن اليماني لا يقصد به إلا تعظيم الله عز وجل والوقوف عند أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك من شعائر الحج التي أمر الله بتعظيمها ، وأن استلام المسلمين للحجر وتقبيلهم إياه مخالف لفعل الجاهلية في عبادتهم للأصنام ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى ، فبادر عمر إلى استلامه وتقبيله تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأكَبَّ على الركن اليماني وقال : إني لأعلم أنك حجر ولو لم أر حبيبي صلى الله عليه وسلم قبَّلك واستلمك ما استلمتك ولا قبَّلتك. ولقد قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } ، وقال صلى الله عليه وسلم : (خذوا عني مناسككم).

وقد زعم أعداء الدين إن الإسلام حطم أصنام مشركي قريش في فتح مكة ، وعظم المسلمون بعدها الحجر الأسود وغيره. ومما هو جدير بالذكر والالتفات إليه أن العرب في جاهليتها مع عبادتهم الأصنام والأحجار وبالأخص حجارة مكة المكرمة والحرم ، لم يسمع عنهم أن أحداً منهم عبد الحجر الأسود أو المقام ، مع عظيم احترامهم لهما ومحافظتهم عليهما ، وسر ذلك وسببه والله أعلم ، يظهر لنا من عصمة الله تعالى لهما فإنهما لو عبدا من دون الله في الجاهلية ، ثم جاء الإسلام بتعظيمهما ، لقال المنافقون أعداء الإسلام : إن الإسلام أقر احترام بعض الأصنام ، وأنه لم يخلص من شائبة الشرك ، ولتمسك بعبادتهما من كان يعبد أحدهما من قبل ، ولهذا حفظ الله تعالى هذين الحجرين عن عبادة أهل الجاهلية لهما ، ومن إلهام الله عز وجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ليقول قوله السابق ذكره.

وزعم مستشرقون وبعض علماء المسلمين المعاصرين أن الحجر الأسود نيزك من النيازك ، وشهاب من الشهب استقر على الأرض أو قطعة من البازلت الذي

جرفته السيول من الحرات المجاورة وألقت به في مكة المكرمة ، وهو قول مردود عليهم لأن الحجر الأسود من أحجار الجنة كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

وموضع الحجر الأسود في الركن الشرقي الجنوبي من الكعبة المشرفة ، يرتفع عن أرض المطاف مترا ونصف متر تقريبا ، وهو محاط بإطار من الفضة الخالصة صونا له ، والحجر الأسود قطره ٣٠ سنتيمتر ، ويظهر مكان الحجر بيضاويا ، والحجر الأسود لا يمكن وصفه لأننا لا نرى منه الآن إلا ثماني قطع صغار مختلفة الحجم أكبرها بقدر التمرة ، ويروى أن القطع تبلغ خمس عشرة قطعة إلا أن القطع السبع الأخرى مغطاة بالمعجون البني الذي يراه كل مستلم للحجر ، وهو خليط من الشمع والمسك والعنبر موضوع على رأس الحجر الكريم ، فالمنظور من الحجر داخل في بناء الكعبة المشرفة والتي يحيط به حجارة الكعبة من كل جانب ، وأما طول الحجر فقد رآه يوم قلعه القرامطة في القرن الرابع الهجري محمد بن نافع الخزاعي ، فرأى السواد في رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر ذراع.

وقد رآه أيام السلطان مراد العثماني ابن علان المكي أحد العلماء رأى طوله نصف ذراع وعرضه ثلث ذراع ، والحجر أبيض ورأسه أسود سوَّدته خطايا بني آدم ، ولا يقال : لِمَ لَمْ تبيضه طاعات أهل التوحيد؛ لأن الله لو شاء لكان ذلك ، ولكن العادة جارية بأن السواد يصبغ ولا يصبغ ، وفي بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة ، فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد.

وأول من طوق الحجر الأسود بالفضة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، ثم تتابع الخلفاء والحكام من بعده في عمل الإطار من ذهب وفضة ، وكان آخر من أهدى إطارا للحجر الأسود قبل الحكومة السعودية السلطان محمد رشاد خان في عام ١٣٣١ هـ ، وكان من الفضة الخالصة ، وقد أصلح الملك عبد العزيز يرحمه الله جزءا من هذا الطوق عام ١٣٦٦ هجرية ، وفي شعبان عام ١٣٧٥ هجرية بدل الملك سعود يرحمه الله الإطار الرشادي بإطار جديد من الفضة الخالصة.

نرى في الصور القطع الثماني المختلفة الحجم والمتبقية من الحجر الأسود

وللقرامطة تاريخ غامض مع هذا الحجر الكريم ، فيروى أنه في يوم الاثنين الثامن من شهر ذي الحجة (يوم التروية) سنة ٣١٧هجرية ، لم يشعر الناس إلا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطي في تسعمائة رجل من أصحابه ، فدخلوا المسجد الحرام وأسرف هو وأصحابه في قتل الحجاج في الحرم ، وردم بهم بئر زمزم ، كما قتل غيرهم في طرق مكة وما حولها زهاء ٣٠ ألفاً ، وفعل أفعالاً منكرة ، ثم جاء إلى الحجر الأسود فضربه بدبوس (مطرقة مدببة الأطراف) فكسره ثم قلعه بعد صلاة العصر من يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، وانصرف إلى بلده هجر (الأحساء - المملكة العربية السعودية) وحمله معه ، قيل أنه هلك تحت الحجر الأسود عند نقله ٤٠ حملاً ، يريد أن يجعل الحج عنده ، لكنه خاب وخسر كما خاب قبله أبرهة الأشرم. واحتفظ القرامطة بالحجر الأسود بعد أن بنو له كعبة جديدة في دولتهم طوال ٢٢ سنة. ورفضوا أن يردوه لمكة وقد بذلت في سبيل إرجاعه ٥٠ ألف دينار فلم يستجيبوا ، وبقى مكان الحجر خالياً يلتمس الحجاج والمعتمرين فجوته بأيديهم وهم يبكون ويتوسلون إلى الله أن يعيد لهم الركن إلى مكانه. وبعد أن هلك أبو طاهر القرمطي سنة ٣٣٢هجرية ، فوجئ المسلمون في يوم النحر (عيد الأضحى) الثلاثاء من سنة ٣٣٩هجرية بزعيم القرامطة سنبر بن الحسن القرمطي يوافي مكة بالحجر الأسود ، قيل أن الحجر الأسود عاد على ظهر قعود ضعيف فسمن فأظهره بفناء الكعبة المشرفة ومعه أمير مكة. وكان على الحجر ضبات فضة قد عملت عليه من طوله وعرضه ، تضبط شقوقاً حدثت عليه بعد قلعه ، وأحضر معه جصاً يشد به ، فوضع سنبر القرمطي الحجر بيده ، وشد الصانع بالجص ، وقال سنبر لما رده " أخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئة الله " ونظر الناس إلى الحجر الأسود فتبينوه وقبلوه وحمدوا الله تعالى.

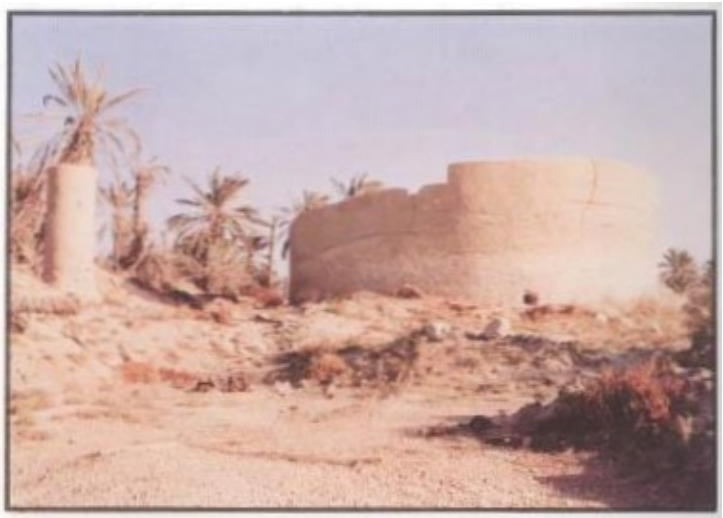

صور لما يقال أنه المكان الذي أسماه القرامطة الكعبة
في منطقة يطلق عليها عين الكعبة
بين الجش وسيهات جنوب غربي مدينة القطيف

في عام ٣١٤هجرية نقل القرامطة قاعدة حكمهم من القطيف إلى هجر إي الأحساء ، وفي عام ٣١٧هجرية تم الاستيلاء على الحجر الأسود. وقد شكك حمد الجاسر بنقل الحجر الأسود للقطيف في معجم المنطقة الشرقية (ص ١٤٥٥) بالقول " أما إيجاد صلة بين عين الكعبة في سيهات من منطقة القطيف ، بالكعبة التي تضاف إلى أبي طاهر ، فلم أر لذلك أصلاً فيما اطلعت عليه من كتب المتقدمين (المؤرخين). والقرامطة كانوا أنشئوا قاعدة ملكهم بجانب مدينة هجر القديمة ، وهي الأحساء ، والمتقدمون يقولون بأن القرامطة نقلوا الحجر الأسود إلى هجر ، وليس إلى الخط وهو القطيف ...".

ومما يستغرب له هو عدم تحرك الخلفاء العباسيين في بغداد ، أو الحكام الفاطميين في المغرب أو غيرهم من الحكام والولاة على مختلف البلاد الإسلامية ، لاسترجاع الحجر الأسود من القرامطة.

ولم تكن حادثة القرامطة هي الوحيدة ، فقد جرت عدت أحداث تاريخية للحجر الأسود خلال الأزمنة التي سبقت الإسلام وبعده ، خلفت آثاراً فيه بتصدع أو تكسر نتيجة لها. فقد أصاب البيت الحرام حريقان

الأول : في عهد قريش قبل الإسلام ، فاحترق الحجر الأسود ، واشتد سواده.

والثاني : في الإسلام في عصر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، حين حاصره الحصين بن نمير الكندي ، فاحترقت الكعبة المشرفة واحترق الحجر الأسود ، فتفلق ثلاث فلق ، حتى شد شعبه عبد الله ابن الزبير بالفضة فكان أول من ربط الركن الأسود ، وفي عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد ، كانت الفضة التي على الحجر الأسود قد رقت وتزعزعت عن محلها ، حتى خافوا على الركن أن ينقض ، فلما اعتمر هارون عمرته سنة ١٨٨هجرية أمر بإصلاحه ، وأمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود ، فثقبت بالماس من فوقها وتحتها ، ثم أفرغ فيها الفضة. وفي عام ٣٦٣هجرية قام رجل رومي جاء من بلاد الروم ، وقد جعل مالاً كثيراً على ذهاب الركن ، فضرب الركن بمعول ضربة شديدة ، فلما هم بضربه ثانية بادره رجل من اليمن كان يطوف في البيت فطعنه بخنجر حتى أرداه قتيلا. وآخر حادثة على الحجر الأسود وقعت في آخر شهر محرم عام ١٣٥١هجرية ، عندما جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان ، فاقتلع قطعة من الحجر الأسود ، وسرق قطعة من ستارة الكعبة المشرفة ، وقطعة من فضة من مدرج الكعبة المشرفة الذي هو بين بئر زمزم وباب بني شيبة ، فشعر به حرس المسجد فاعتقلوه ، ثم أعدم عقوبة له.

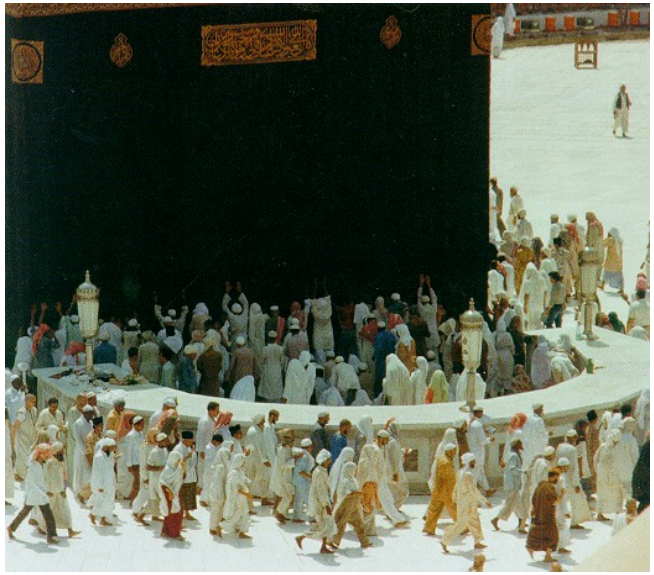

حجر إسماعيل عليه الصلاة والسلام :

هو الجزء المنحني الواقع شمال الكعبة المشرفة من جانب الميزاب ، ويسمى الحطيم لأنه حطم من البيت أي كسر منه حيث أنقصته قريش من البيت حين جددت بناء الكعبة المشرفة. وهو ساحة مرخمة عليها جدار على صورة نصف دائرة ، ذو فتحتين شرقية وغربية ، يرتفع عن الأرض بمقدار متر ونصف المتر تقريباً ، وعليه ثلاثة فوانيس إضاءة وزينة. وجزء منه بمقدار ستة أذرع وشبر ، إي ما يعادل ٢,٨٨ متر. يعتبر امتداداً للكعبة المشرفة وجزء منها. وقد رمم أكثر من خمس وعشرين مرة. ويطلق على حجر إسماعيل قبور عذارى بني إسماعيل ، وتعددت الروايات التاريخية ، وذكر ذلك كثير من العلماء من أن إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر مدفونان فيه ، ولكن الروايات الواردة في هذا الباب كلها ضعيفة ، لا يصحّ منها شيء ، ولو كان ذلك ثابتاً لما جاز لنا أن نطأ موضع القبر ، لأن النبي صلي الله عليه وسلم نهى عن وطء القبور والقعود عليها. ويدلّ على نكارتها أن كبار الصحابة شهدوا بناء قريش وحفر أساس الكعبة آنذاك ، ولم يحدّث أحد منهم أنه رأى أثر قبر ولو كان ذلك ثابتاً لما جاز لنا أن نطأ موضع القبر لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن وطء القبور والقعود عليها.

وتدل كثير من الأحاديث على أن الحِجر من البيت ، فيدخل تحت قوله : {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} فعلى هذا يلزم الطواف بالحجر ، فإن تَركه في طوافه لم يجزئه.

والحِجر هو المكان الذي أنزل فيه إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنه إسماعيل عندما قدم بهما إلى مكة ، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشاً ، وقد أدخلت قريش جزءاً من الكعبة في الحِجر لقصر النفقة التي أعدوها لعمارتها. وعندما تمكن عبد الله بن الزبير من مكة هدم الكعبة وعمَّرها وأدخل فيها ما أخرجته قريش في الحجر ، ولكن الحجاج بعد مقتل ابن الزبير ، أعاده إلى الحجر وبنى الجدار على أساس قريش وهو باقٍ إلى الآن ، فصار بعض الحجر من الكعبة المشرفة وبعضه ليس منها ، ومن الحجة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها ونص الحديث : (لولا أن قومك حديث عهد بشرك أو بجاهلية لهدمت الكعبة ، فألزقها بالأرض وجعلت لها بابين ، باباً شرقياً ، وباباً غربياً ، وزدت فيها من الحجر ستة أذرع ، فإن قريشاً اقتصرتها حين بنت الكعبة).

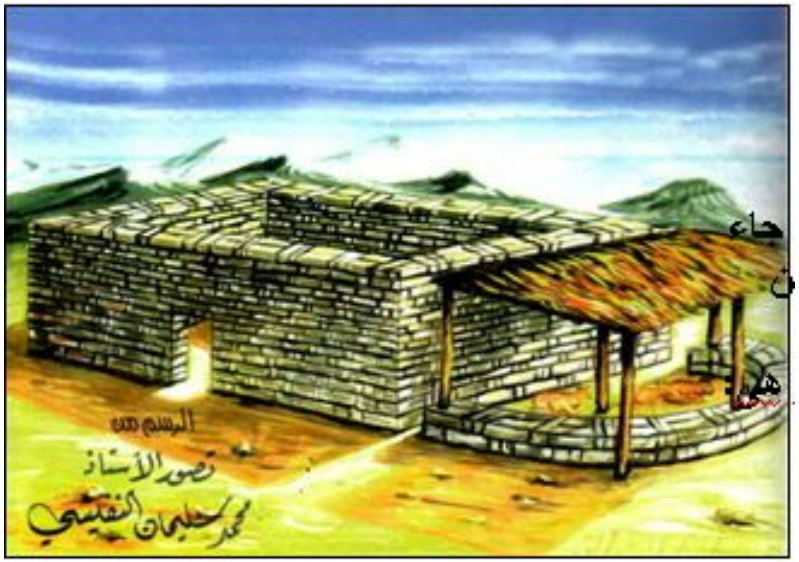

قال ابن عمر رضي الله عنهما ، لئن كانت عائشة رضي الله سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك استلام الركنين اللذين يليان الحِجر ، إلا أن البيت لم يُتمّم على قواعد إبراهيم. وفي أكثر من حديث أن من دخل الحجر كأنما دخل البيت ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أحِبُّ أن أدخل البيت فأصلي فيه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأدخلني الحجر فقال : (إذا أرَدت دخول البيت فصلي ها هنا ، فإنما هو قطعة من البيت ، ولكن قومك اقتصروا حيث بنوه).

وقد صح عن ابن عباس أنه قال : صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار ، قيل لابن عباس : ما مصلى الأخيار ؟ قال : تحت الميزاب. قيل : وما شراب الأبرار ؟ قال : ماء زمزم. وهذا يدل على فضل الصلاة في الحجر.

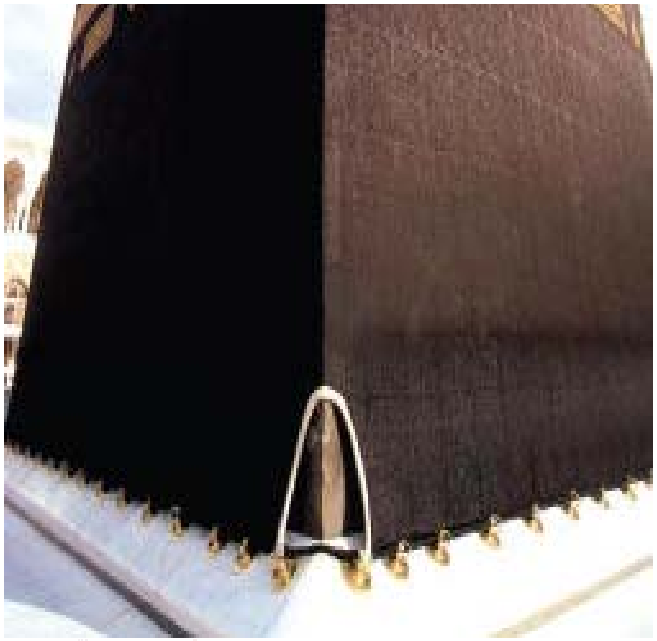

شاذروان الكعبة المشرفة :

هو الوزرة المحيطة بأسفل جدار الكعبة المشرفة من مستوى الطواف ، وهو مسنم الشكل وهو من جدار البيت الحرام والذي ترك من عرض الأساس خارجا.

والشاذروان لفظة عجمية تعني التأزير ، لأنه كالإزار للبيت ، وهو عبارة عن الحجارة المائلة الملتصقة بأسفل الكعبة المشرفة المحيطة بها من جوانبها الثلاثة.
أما الجانب المقابل لحجر إسماعيل عليه السلام ، فليس فيه شاذروان ، ولكنها عتبة صخرية بارتفاع أحد عشر سنتيمترا وعرض أربعين سنتيمترا ، يقف عليها بعض الطائفين ملصقين بطونهن وأذرعتهم وأوجههم وأكفهم إلى الكعبة المشرفة تضرعا بالدعاء. ولم يوضع شاذروان في هذه الجهة لأنه لا يمثل حد البيت الشمالي ، فالحد هنا يمتد إلى ستة أذرع وشبر داخل الحجر (٢,٨٨ متر).

كما أنه لم يوضع شاذروان أسفل باب الكعبة المشرفة تيسيرا لوقوف الناس للتعلق بعتبة باب الكعبة والملتزم للضراعة والدعاء ، ويوجد مكانه عتبة بطول ثلاثة أمتار وخمسة وأربعين سنتيمترا بارتفاع بسيط عن أرض المطاف.

والشاذروان على الأصح هو جزء من الكعبة المشرفة ، وقيل إن أول من وضعه هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام لحماية جدار الكعبة المشرفة من تسرب المياه إليها. ووضع في وسط سطح الشاذروان حلق كبيرة مطلية بالذهب ، قطر الواحدة خمسة عشر سنتمتراً تقريباً ، ليشد بها ثوب الكعبة المشرفة ، يبلغ تعدادها اثنين وخمسين حلقة ، أحكم وضعها على جدار الشاذروان إحكاماً قوياً بحيث يصعب فصلها عنه ، حيث يتم ربط حبال ستارة الكعبة المشرفة في حلقاته المثبتة فيه لهذا الغرض ، ولإبعاد أجساد الطائفين عن الاحتكاك بستارة وجدار الكعبة المشرفة كي لا تتضرر أجسادهم ولا يسرع التلف إلى ستارة الكعبة المشرفة.

والشاذروان الذي تم ترميمه على يد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله هو من بناء السلطان مراد الرابع عند بنائه للكعبة المشرفة سنة ١٠٤٠ هجرية ، وحجارة الشاذروان كلها من حجر الرخام الأبيض القوي الصلب وهي متفاوتة الحجم ، وعدد حجارته واحد وسبعون حجرا منها ثمانية أحجار من ناحية باب الكعبة المشرفة إلى الشمال ، تعد من أنفس حجارة المرمر في العالم.

مقام إبراهيم عليه السلام :

وروى ابن خزيمة بإسنادٍ حسن : قال صلى الله عليه وسلم : (الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، طمس الله تعالى نورهما ، ولولا ذلك لأضاء نورهما ما بين المشرق والمغرب). ومقام إبراهيم هو الحجر الذي فيه أثر قدمي إبراهيم عليه السلام في الصخرة التي ارتقى عليها ليرفع جدران الكعبة المشرفة ، وقد ثبتت آثار قدميه في الحجر ، وهو معجزة إبراهيم عليه السلام. قال أنس بن مالك رضي الله عنه : رأيت المقام فيه أثر أصابعه عليه السلام ، وأخمص قدميه غير إنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

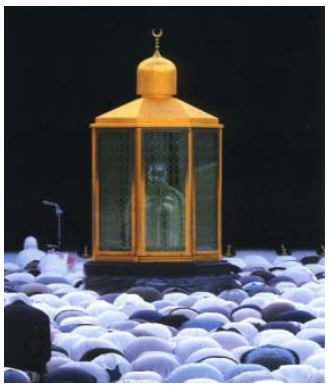

وعن أنس قال : قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وافقت ربي في ثلاث قلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى }. وأخرج الطبري في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في هذه الآية : إنما أمروا أن يصلوا عنده ، ولم يؤمروا بمسحه.

وكان المقام من عهد إبراهيم لزق البيت إلى أن أخره عمر رضي الله عنه ، إلى المكان الذي هو فيه الآن. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن عطاء وغيره وعن مجاهد أيضاً ، وأخرج البيهقي عن عائشة مثله بسند قوي ولفظه : إن المقام كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخّره عمر ، ولم تنكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم فصار إجماعاً. وكان عمر رأى أن إبقاءه يلزم منه التضييق على الطائفين أو على المصلين فوضعه في مكان يرتفع به الحرج ، وتهيأ له ذلك لأنه الذي كان أشار باتخاذه مصلى.

ويشير سادن الكعبة المشرفة إلى أنه في عهد الملك فيصل وبعد أن تم وضع مقام سيدنا إبراهيم في شكله الجديد استدعى الملك فيصل يرحمه الله سادن الكعبة المشرفة آنذاك الشيخ أمين ، ومنحه مفتاح المقام. وعن دور آل الشيبي في خدمة مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ، هو عملية تنظيف المقام وتبخيره ، وعادة ما يكون فتح باب مقام إبراهيم محدداً للتنظيف فقط.

ميزاب الكعبة المشرفة :

بلغ عدد الميازيب التي ركبت في الكعبة المشرفة أحد عشر ميزاباً ، حيث حظي ميزاب الكعبة المشرفة باهتمام ولاة أمر المسلمين منذ فجر الإسلام ، فتعاهدوه بالإصلاح والتجديد والترميم. وإن أول ميزاب عمل للكعبة المشرفة كان الميزاب الذي عملته قريش عند بنائها وتسقيف الكعبة المشرفة ، وتم تركيبه في موضعه

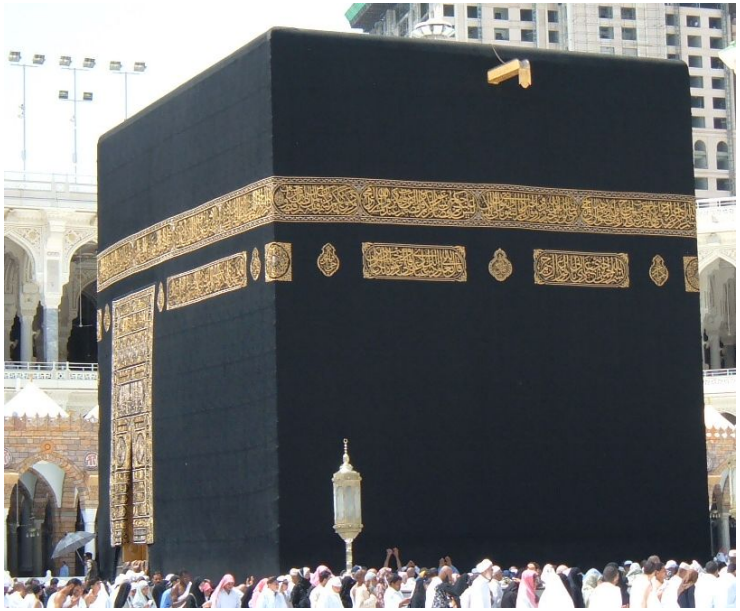

بأعلى منتصف الجدار الشمالي للكعبة المشرفة وجعل مصبه إلى حجر إسماعيل عليه السلام ، ثم ميزاب عبد الله بن الزبير عند بنائه للكعبة المشرفة عام ٦٥ هجرية الموافق ٦٨٤م ، ثم ميزاب الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أعاد بناء الكعبة المشرفة عام ٧٣ هجرية الموافق ٦٩٢م ، ثم ميزاب الشيخ أبو القاسم رامشت الذي وصل به خادمه بعد موته عام ٥٣٧ هجرية الموافق ١١٤٢م ، ثم ميزاب الخليفة العباسي المقتفي بالله في عام ٥٤١ هجرية الموافق ١١٤٦م ، ثم ميزاب الناصر لدين الله العباسي عام ٦٢٢ هجرية الموافق ١٢٧٩م ، ثم ميزاب السلطان العثماني سليمان القانوني عام ٩٥٩ هجرية الموافق ١٥٥١م ، ثم الميزاب الذي ورد من مصر عام ٩٦٢ هجرية الموافق ١٥٥٤م ، ثم ميزاب السلطان العثماني أحمد الأول بن محمد الثالث عام ١٠٢١ هجرية الموافق ١٦١٢م ، ثم ميزاب السلطان عبد المجيد الأول بن محمود الثاني عام ١٢٧٣ هجرية الموافق ١٨٥٦م والذي تم إرساله بصحبة الحاج رضا باشا عام ١٢٧٦ هجرية الموافق ١٨٥٩م وقد رمم وأدخلت عليه ترميمات جزئية في المسامير العلوية المانعة لوقوف الحمام عليه وذلك في عهد الملك سعود حين رمم سطح الكعبة المشرفة. وآخر ميزاب تم تركيبه في الكعبة المشرفة كان عام ١٤١٦ هجرية الموافق ١٩٩٥ م ، في عهد الملك فهد بنفس مقاسات الميزاب القديم.

الملتزم :

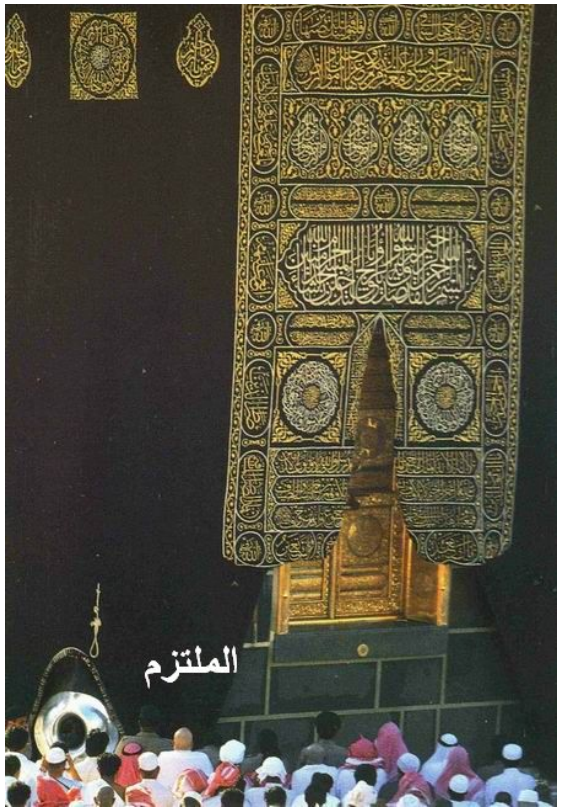

ويقال له المدعى والمتعوذ ، وهو الجزء الذي بين ركن الحجر الأسود وباب الكعبة المشرفة. وهو موضع استجابة للدعاء ، وهو الموضع الذي يسن إلصاق الخدين والصدر والذراعين والكفين عليه مع الدعاء ضراعة إلى الله سبحانه وتعالى .
فعن مجاهد قال : ما بين الركن والباب الملتزم ومن دعا الله سبحانه وتعالى في الملتزم أجاب الله تعالى دعاءه.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أنه كان يلزم ما بين الركن والباب وكان يقول : ما بين الركن والباب يدعى الملتزم ، لا يلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه.

ويقول ابن القيم بخصوص وقوفه صلى الله عليه وسلم بالملتزم : فالذي روي عنه أنه فعله يوم الفتح ، ففي سنن أبي داود ، عن عبد الرحمن بن أبي صفوان قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، انطلقت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا الركن من الباب إلى الحطيم ، ووضعوا خدودهم على البيت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم.

وروى أبو داود أيضاً من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : طفت مع عبد الله ، فلما حاذى دبر الكعبة ، قلت : ألا تتعوذ ؟ قال : نعوذ بالله من النار. ثم مضى حتى استلم الحَجَر ، فقام بين الركن والباب ، فوضع صدره ووجهه وذراعيه ، وبسطهما بسطاً ، وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله.

فهذا يحتمل أن يكون في وقت الوداع ، وأن يكون في غيره ولكن قال مجاهد والشافعيُّ بعده وغيرهما : إنه يستحب أن يقف في الملتزم بعد طواف الوداع ويدعو الله سبحانه وتعالى.

وقد ورد في الأحاديث ما يخبر أن كثيراً من الصحابة قد كانوا يلتزمونه ويدعون عنده ، فعن أبي الزبير قال : رأيت عبد الله بن عمر وابن عباس وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم يلتزمونه. وعن حنظله قال : رأيت طاوساً يستعيذ بين الركن الأسود والباب.وقال عثمان بن الأسود : رأى مجاهد إنساناً بين الباب والركن فضرب منكبه ، أو قال : ظهره ، وقال : الزم الزم. قال مروان في حديثه قال مجاهد : يدعى ما بين الركن والباب الملتزم فقلّ إنسان يسأل الله شيئاً ، ويستعيذ من شيء إلا أعطاه.

وعن طارق بن عبد الرحمن قال : طفت مع علي بن الحسين رضي الله عنهما ، فلما فرغ من طوافه أرسل إزاره حتى بدا بطنه ، ثم ألصقه ما بين الركن والباب.

صفة الكعبة المشرفة من الداخل :

إلى اليمين من باب الكعبة المشرفة على بعد أقل من مترين يرتفع صندوق من الرخام النادر تحفظ فيه أدوات خدمة البيت وحوائج غسيل الكعبة المشرفة من دهون الطيب كالعود والورد والعنبر ولفائف من قماش قطني معد للغسيل.

وفي الركن العراقي إي الجهة الشمالية على يمين الداخل إلى الكعبة المشرفة ، بناء مستطيل شكله كالغرفة المسدودة بدون نوافذ ، ضلعاها الشرقي والشمالي من أصل جدار الكعبة المشرفة ، وتحجب في داخلها الدرج ، ولها باب صغير يعرف بباب التوبة ، وهو آية في الصنعة والإتقان ومصنوع من أندر قطع الأخشاب المكسوة بصفائح الذهب والفضة المشغولة ، عليه قفل خاص وعليه ستارة حريرية جميلة مكتوبة ومنقوشة بالذهب والفضة ، يوجد بها درج حلزوني من الزجاج السميك القوي المميز يصل إلى سطح الكعبة المشرفة ، حيث ينتهي الدرج عند السطح بمنور مغطى بنوع مخصوص من الزجاج يساعد على الإضاءة داخل الكعبة المشرفة ، ويمنع دخول المطر. وإذا صعد الإنسان من الدرج إلى السطح فقبل وصوله إلى السطح بنحو قامة يرى أمامه بابا صغيرا وعن يساره بابا مثله ، وكلاهما يدخل إلى ما بين سقفي الكعبة المشرفة ، ومسافة ما بين السقفين ١٢٠سم.

وفي منتصف الكعبة المشرفة ثلاثة أعمدة خشبية تحمل سقف الكعبة المشرفة وهي من أقوى أنواع الأخشاب التي لا يعرف مثلها ، وهي من وضع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أي أن عمرها أكثر من ١٣٥٠ عاما ، حين رأى أن يسند سقف الكعبة المشرفة بها خشية انهياره عندما قام بترميم بناء الكعبة المشرفة ، وهي بنية اللون تميل إلى السواد قليلا ، ومحيط كل عامود منها ١٥٠سم تقريبا وبقطر ٤٤سم ، ولكل منها قاعدة مربعة خشبية منقوشة بالحفر على الخشب ، ويوجد بين الأعمدة الثلاثة عمود معدني يكتسي بالفضة الخالصة له خطافات صغيرة معلق فيها هدايا الكعبة المشرفة من أباريق وشمعدانات وأوان أثرية من الذهب والفضة تعود بتاريخها إلى ماضي سحيق أهداها ملوك وخلفاء وسلاطين.

ومما تجدر الإشارة له أنه يوجد داخل الكعبة المشرفة سقفين خشبيين. ويمتد على كل عامود من الأعمدة الثلاثة حامل يمتد طرفاه إلى داخل الجدارين الشمالي والجنوبي. وهذه الأعمدة الثلاثة مرتفعة إلى السقف الأول الذي يلي الكعبة المشرفة ولا تنفذ من هذا السقف إلى السقف الأعلى الذي يلي السماء ، ولكن جعلت عدة أخشاب بعضها فوق بعض على رءوس هذه الأعمدة الثلاثة من داخل السقفين إلى أن تصل إلى السقف الأعلى ، فتكون هذه الأعمدة الثلاثة بهذه الصفة حاملة للسقفين المذكورين. ويوجد في كل عمود ثلاثة أطواق للتقوية.

أما أرض الكعبة المشرفة فهو مفروش بالرخام وأغلبه من النوع الأبيض ، وجوانب الكعبة المشرفة الأربعة محاطة بالرخام الأبيض ، بارتفاع نحو مترين وبرخام ملون ومزركش بنقوش هندسية إسلامية. وما يعلوها مغطى بستارة خاصة من الحرير الأحمر الوردي مشغولة بالنسيج الأبيض على هيئة الشهادتين وبعض أسماء الله الحسنى على شكل رقمي ثمانية وسبعة متكررة بخط الثلث العربي البديع ، وكسي بهذه الستارة سقف الكعبة المشرفة أيضا ، وقام بصناعتها يدويا مصنع كسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.

وتوجد كذلك في داخل الكعبة المشرفة في الجدار الغربي المواجه لباب الكعبة المشرفة وفي الجدار الشرقي وبين باب الكعبة المشرفة وباب التوبة عشرة أحجار من الرخام منقوش عليها أسماء الولاة والخلفاء والملوك ، تؤرخ لأعمال تجديد وترميم الكعبة المشرفة ومن قام به ، وهذه الأحجار مكتوبة بعد القرن السادس للهجرة ، وكل هذه الرخامات مرتفعة عن رخام أرض الكعبة بمقدار ١,٤٤ مترا ، ما عدا الحجر الموضوع فوق عقد باب الكعبة المشرفة من الداخل فإنه يرتفع بأكثر من مترين.

ولا بد من الإشارة إلى أن جدار الكعبة المشرفة عبارة عن جدارين متلاصقين أحدهما الخارجي الذي يشاهده الناس ، والأخر جدار داخلي بسمك يبلغ ٠,٩٣ مترا.

صورة تبين جزء من داخل الكعبة المشرفة بعد الترميم الأخير

ولقد ذكر محمد العوضي أنه سأل أحد المسؤولين الإعلاميين لماذا لا يتم تصوير داخل الكعبة المشرفة ؟ فأجابه بالقول : إنه ممنوع على كل وسائل الإعلام.
ويصف العوضي تشرفه بدخول في الكعبة المشرفة في مقال له : كنا على باب الكعبة الكتف بالكتف ونحن نعلم أن مكوثنا في الكعبة لدقائق معدودة ، فالتركيز متوجه على أخذ موقع داخل الكعبة المشرفة ثم الصلاة والدعاء والتضرع إلى المولى عز وجل ، وأذن لنا بالدخول وصعدنا الدرج ، دخلت فأخذت الزاوية على اليمين وتناثر الزائرون في الكعبة المشرفة يصلون ويبتهلون ، الضوء خافت حيث ليس في الكعبة المشرفة أضواء كهربائية ، وإنما النور الداخل من الباب هو الذي زاد الجو روحانية ، فكأنك في مطلع الفجر ، لا أحد يريد أن يترك موقعه ، وآخرون ينتظرون دورهم. فنادى سادن الكعبة المشرفة على الزائرين : يا جماعة السنة ركعتان بارك الله فيكم ، وأفسحوا المجال لإخوانكم في الخارج.

ويقول الداعية الشيخ حمزة يوسف الأميركي المسلم : لأول مرة في حياتي تباغتني مشاعر لا أجد لها تفسيرا إلا التأكيد على إن محمدا هو الرجل الخالد وصاحب الدين المعجز، وخشيت أن تقبض روحي قبل دخول الكعبة المشرفة ، ولكن من دخله كان آمنا ، وكأنني دخلت الجنة ، وخجلت من كرم ربي أن يختارني من ملايين المسلمين لأدخل في هذا المكان الطاهر، لقد شعرت بمعنى الرحمة وفهمت حقيقة معنى (اللهم افتح لي أبواب رحمتك).

باب الكعبة المشرفة :

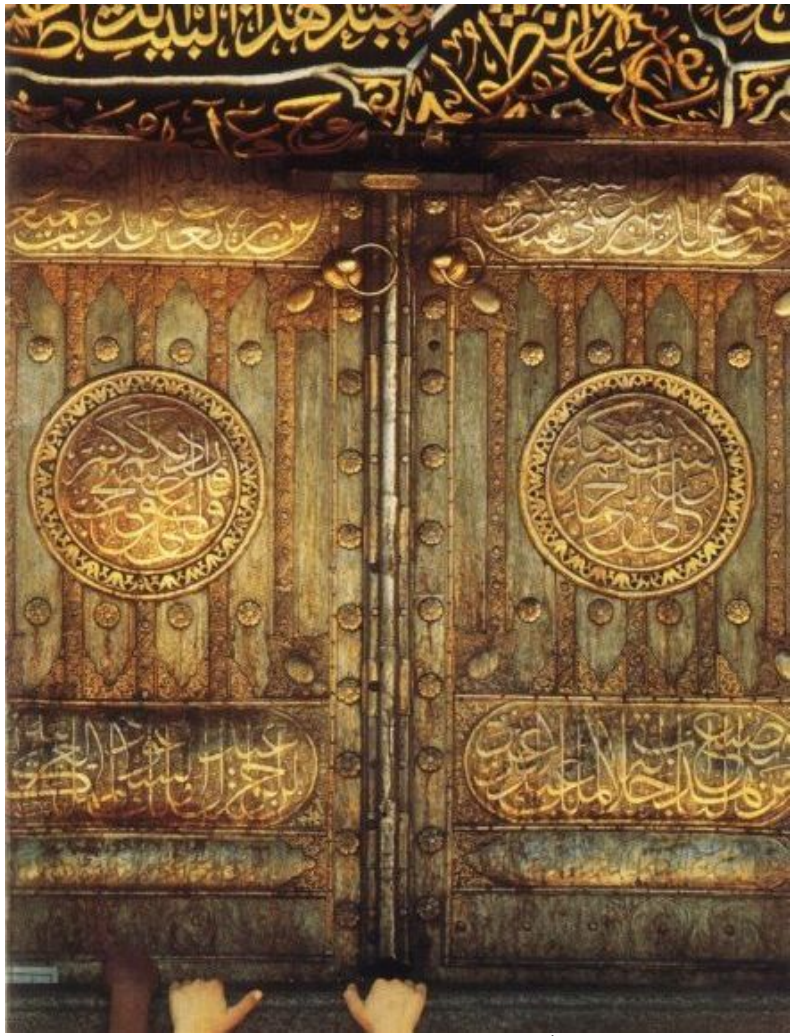
الباب الذي أمر بصنعه الملك عبد العزيز آل سعود

يقع باب الكعبة المشرفة في الجهة الشرقية منها ، ويرتفع عن أرض المطاف بحوالي (٢,٢٥) متراً ، وارتفاع الباب نفسه (٣,١٠) أمتار وعرضه حوالي (٢,٠٠) متراً ، وبعمق يقارب من نصف المتر.

وقد مر الباب عبر تاريخه الطويل بالعديد من المراحل من حيث تصنيعه وأشكاله وزخارفه ، ونوعية المادة المصنع منها ، ولقد اختلف الرواة في أول من عمل للكعبة المشرفة باباً. ولكن المشهور إن تبع الحميري جعل لها باباً ومفتاحاً ، ثم لما عمرت قريش الكعبة المشرفة جعلت لها باباً بمصراعين. وقيل إن الباب الذي عمله ابن الزبير كان طوله أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاه ، بينما عمل الحجاج لها باباً طوله ستة أذرع وشبراً ، لأنه رفع باب الكعبة المشرفة عما كان عليه في بناء ابن الزبير.

في عام ١٩٤ هجرية أمر الخليفة العباسي الأمين بضرب صفائح الذهب على باب الكعبة المشرفة. وفي سنة ٢١٩ هجرية بعث الخليفة العباسي المعتصم بالله للكعبة المشرفة بقفل فيه ألف دينار ، فقل به الباب ونزع قفل الباب الذي كان عليه ، وكان مطلياً ، ويقال إنه من عمل الحجاج. وفي سنة ٥٥٠ هجرية عمل الوزير الجواد باباً للكعبة المشرفة بأمر الخليفة المقتفي لأمر الله ، مصفحاً بالنقرة المذهبة ، وعمل الخليفة لنفسه من خشب الباب القديم ، تابوتاً ليدفن فيه إذا مات ، وقيل إن الوزير هو الذي عمل التابوت لنفسه.

ومن الأبواب التي عملت للكعبة المشرفة باب عمله الملك المظفر صاحب اليمن عليه صفائح الفضة ، وعمل الملك محمد بن قلاوون صاحب مصر باباً للكعبة المشرفة عام ٧٣٣ هجرية ، وذكر أنه من السنط الأحمر وملبس بالفضة ، ولقد تم تحليه هذا الباب بالفضة (حيث كان يختلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده) من قبل كثير من الولاة والسلاطين ، حتى تم تغييره سنة ٩٥٣ هجرية من قبل السلطان العثماني سليمان ، وحلاه بحليه كبيرة من الفضة المطلية بالذهب. وفي سنة ١٠٤٥ هجرية أمر السلطان العثماني مراد بعمل باب للكعبة المشرفة وأن يرسل له الباب القديم

فعمل للكعبة المشرفة بابا جديدا ركب عليه حلية فضية زنتها مائة وستون رطلا بعد نزعها من الباب السابق ، وطلي بالذهب البندقي بما قيمته ألف دينار. ويقي هذا الباب في الكعبة المشرفة ، حتى أمر الملك عبد العزيز آل سعود بصنع باب مصفح بالذهب والفضة سنة ١٣٦٣ هجرية ، ومزين بأسماء الله الحسنى.

أما الباب الحالي فقد أمر بصنعه الملك خالد بن عبد العزيز عندما لاحظ وهو في جوف الكعبة المشرفة عام ١٣٩٧ هجرية الموافق ١٩٧٦ م ، قدم الباب الموجود آنذاك ، ووجود آثار خدوش عليه ، فأصدر توجيهاته بصنع بابين جديدين للكعبة المشرفة ، أحدهما الباب الخارجي ، والثاني باب التوبة داخل الكعبة المشرفة والموصل للدرج ، على أن يكونا من الذهب الخالص. وقد تكلفت صناعة البابين ١٣,٤٢٠,٠٠٠ من الريالات ، عدا كمية الذهب والتي بلغت مائتان وثمانون كيلو غراما من الذهب الصافي. واستغرق العمل فيه اثني عشر شهراً وتشرف بافتتاحه الملك خالد رحمة الله في ٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٩٩ هجرية.

ولقد صممه المهندس المعماري منير الجندي ، ووضع خطه وقام بكتابة الآيات والعبارات عليه الخطاط عبد الرحيم أمين وقام بصنعه شيخ الصاغة بمكة المكرمة أحمد إبراهيم.

وقد روعي في التصميم ، الشكل الزخرفي المستمد من الطراز الإسلامي الأصيل ، وعلى وضع الآيات القرآنية بحيث تحقق الانسجام بين التصميم الجديد للباب وستارة الباب باستخدام خط الثلث بحيث تتم الزخرفة بالحفر والنقش على الذهب باستخدام قليل من الفضة. أما المساحات التي في وسط الباب فوضعت في وسطها دوائر ، كتبت فيها الآيات الكريمة بالطريقة المعتادة مع إضافة زخارف في الزوايا العلوية ليكون شكل الباب قوساً دائرياً يحيط بالآيات القرآنية المكتوبة. وكتب في وسط الحشوتين تحت القفل سورة الفاتحة على شكل قرصين بارزين. وفقد تم استخدام أحدث الطرق الفنية في الهيكل الإنشائي للباب ، للتوصل إلى درجة عالية من المتانة والجودة ، بحيث يقوم الباب بوظيفته بدون الاحتياج إلى صيانة ، وقد جرى تفصيل الهيكل الإنشائي وتجهيزه بواسطة فنيين أخصائيين في ضوء مطابقة التصميم الزخرفي من جهة ، ومراعاة عوامل الطقس والموقع في تحمل الحرارة الشديدة والأمطار من جهة أخرى ، وأعدت أحدث الاحتياطات الفنية لمعالجة كافة النقاط التفصيلية والارتباط بين الباب والحلق من جهة والجوانب من جهة أخرى ، وزودت نهاية الباب بعارضة من الأسفل لمنع دخول المطر إلى داخل الكعبة المشرفة وتحتوي على قضيب خاص يضغط حرف الباب على العتبة عند الإغلاق.

سدانة الكعبة المشرفة :

كان عمر بن الخطاب يقول لقريش : إنه كان ولاة هذا البيت قبلكم طسم ، فاستخفوا بحقه ، واستحلوا حرمته ، فأهلكهم الله عز وجل ، ثم وليته بعدهم جرهم ، فاستخفوا بحقه ، واستحلوا حرمته ، فأهلكهم الله عز وجل ، فلا تهاونوا به وعظموا حرمته.

ومن تعظيم البيت وتكريمه هو أن يكون له سدنة ، وهم المسئولون عنها. والسدانة والحجابة بمعنى واحد ، وتأتي السدانة بعدة معان في معجم اللغة العربية مثل الأمين والخادم والحاجب .. الخ. وهي تولي خدمة البيت والكعبة المشرفة والقيام بجميع أمورها ، من فتحها وإغلاقها وتنظيفها وغسلها وكسوتها وإصلاح هذه الكسوة إذا تمزقت واستقبال زوارها وكل ما يتعلق بذلك.

وسدانة الكعبة المشرفة ترجع إلى تاريخ بنائها ، فقد كان يقوم بأمر السدانة إسماعيل عليه السلام ثم من بعده ذريته ، ثم طسم وهي قبيلة من عاد ، ثم وليتها خزاعة ثم وليها قصي فأعطاها إلى ولده عبد الدار ، ثم هو أعطاها بدوره إلى ولده عثمان ، فلم تزل تنتقل في أولاده إلى أن انتهت إلى عثمان بن طلحة ، الذي يقول : كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل رسول صلى الله عليه وسلم ، يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فأغلظت له فنلت منه فحلم عني ، ثم قال : (يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت) ، فقلت له : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت ، فقال : (بل عمرت وعزت يومئذ) ، ودخل الكعبة المشرفة. فلما كان يوم الفتح ، قال صلى الله عليه وسلم : (يا عثمان ائتني بالمفتاح) ، فأتيته به ، فأخذه مني ثم دفعه إليّ ، وقال : (خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف). ولا يزال وجودهم معجزه من معجزاته صلى الله عليه وسلم لقوله هذا.

ثم انتقلت إلى ابن عمه شيبة. وهي في ولدهم إلى الآن. وتنتقل السدانة من شخص من آل الشيبي إلى آخر ، بالتوارث إذ ينتقل مفتاح الكعبة المشرفة إليه مباشرة ، ولا يشترط أن يكون السدان هو ابن السدان السابق ، فالسن هو الذي يحدد السدان ، حيث يتوارثها الأكبر فالأكبر سناً.
وأن جميع آل الشيبي الموجودون في هذا العصر هم من أبناء الشيخ محمد بن زين العابدين ، وينقسمون إلى أبناء الشيخ عبد القادر بن علي وهم عائلة عبد الله ، وحسن آل الشيبي ، وأبناء عبد الرحمن بن عبد الله الشيبي. وإن كبير سدنة بيت الله الحرام حالياً ، والذي يوجد لديه مفتاح الكعبة المشرفة هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الشيبي. وآل الشيبي محل احترام وإكرام والرعاية عند عموم حكام المسلمين كما دلت على ذلك الأخبار الواردة في حقهم ، وبالأخص عند كل من تولى خدمة الحرمين الشريفين.

قفل ومفتاح باب الكعبة المشرفة :

جددت أقفال الكعبة المشرفة ومفاتيح تلك الأقفال ، بتعدد الخلفاء والسلاطين وذلك حرصهم منهم على شرف خدمة بيت الله الحرام ، إن أقفال الكعبة المشرفة ومفاتيحها لم تكن مجرد وسيلة للفتح والغلق ، ولكنها تحمل في نفس الوقت فكرة الرعاية والعناية والحرص وعالي التقدير لكل ما يتصل ببيت الله الحرام.

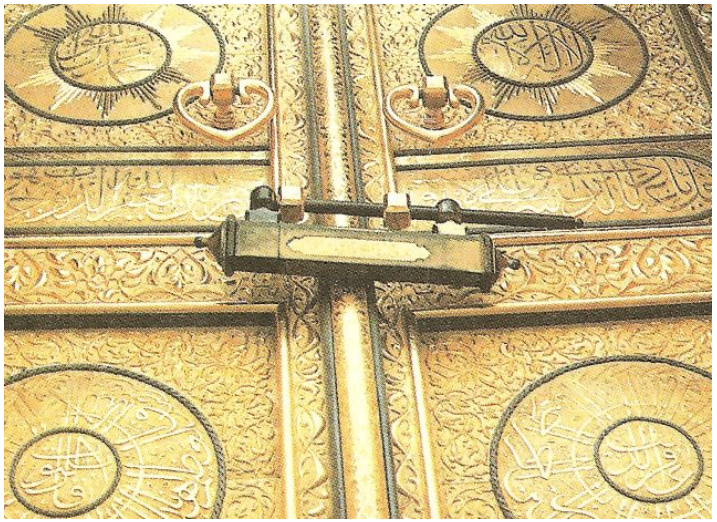

وتحتوي أقفال الكعبة المشرفة على ثلاثة أقسام رئيسية

القسم الأول : عمود التعليق ووظيفته هي الدخول في الحلقتين الموجودتين على مصراعي الباب. وهو عمود اسطواني رفيع قد يصل طوله في الغالب ضعف طول جسم القفل ، ويحمله في نفس الوقت.

أما القسم الثاني : فهو عبارة جسم يرتبط به عمود التعليق ، قد يكون اسطوانياً أو متعدد الأضلاع ، ويحتوي على نظام ميكانيكي للغلق والفتح ، عبارة عن زنبركات من ثلاثة أو أربعة أصابع. ويوجد في أحد طرفيه الثقب الذي يدخل منه المفتاح.

والقسم الثالث : المفتاح ، الذي قد تختلف أشكاله ، وخاصة أطرافه لتتواءم مع النظام الميكانيكي الموجود في جسم القفل فقد تكون من أربعة فصوص أو على شكل نصف دائرة.

كما تختلف شكل رقبة المفتاح أو مكان المسك به ، إلا إنها تتكون في الغالب من جزأين تعلوهما الحلقة. والذي يفرق بين مفتاح وآخر هو الدقة والأناقة في صناعته والاختلافات اليسيرة في أشكالها المنشورية والكروية والمكعبة.

وآخر قفل تمت صناعته لباب الكعبة المشرفة يعود إلى عهد السلطان العثماني عبد الحميد الذي صنع سنة ١٣٠٩ هجرية ، حيث ذكر الشيخ عبدا لعزيز الشيبي عندما سئل عما إذا كان مفتاح الكعبة المشرفة يتغير بتغير الباب فرد قائلاً : حينما جرى تغيير باب الكعبة المشرفة في عهد الملك خالد بن عبدا لعزيز يرحمه الله ظل القفل والمفتاح كما هما دون تغيير في شكلهما أو تجديد. ويتم الاحتفاظ بمفتاح الكعبة بكيس خاص.

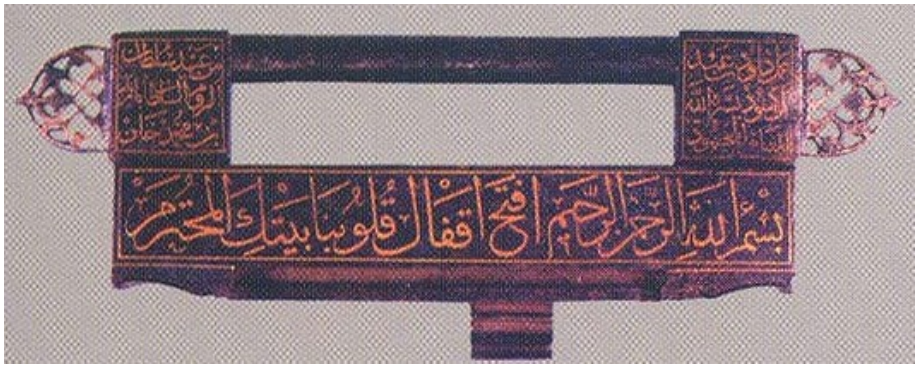

تطيب الكعبة المشرفة :

تطييب الكعبة المشرفة وتجميرها أمر قديم من أيام ما قبل الإسلام. وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت في بعض الأحيان تطلى كاملة بالطيب. في عهد معاوية رضي الله عنه أجرى الطيب للكعبة المشرفة في كل صلاة. وفي عهد عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه كانت تجمر كل يوم ويزاد في ذلك يوم الجمعة. وقد طيبها دهنا وتلطيخا من داخلها وخارجها حين فرغ من بنائها. وقد ضمخها المهدي العباسي من خارجها وداخلها بأخلاط من الطيب وبالمسك والعنبر وتتابع الناس على تجميرها وتضميخها بالطيب.

ويعتبر بعض الفقهاء أن تطييب الكعبة المشرفة نوع من تطهيرها الذي أمر الله به في قوله تعالى : { أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }.

كسوة الكعبة المشرفة :

إن تاريخ كسوة الكعبة جزء لا يتجزأ من تاريخ الكعبة المشرفة نفسها ، وقد مرت كسوة الكعبة المشرفة منذ بناها سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام بأطوار مختلفة ارتبطت بعوامل اجتماعية واقتصادية مختلفة ، غير أن الاهتمام بكسوة الكعبة المشرفة يعكس مدى اهتمام المسلمين بها وتقديسها وتشريفها وبيين مكانتها الرفيعة في نفوسهم وأن نية الكسوة هو التقديس لهذا البيت الحرام والتقرب من الله سبحانه وتعالى. وكسوة الكعبة المشرفة هي ما يتخذ من الثياب للستر والجلية فوقها ، تقول : كسوت الكعبة أي : ألبستها الكسوة.

وقد اختلفت الروايات في أول من كسا الكعبة ، فبعض العلماء يقولون : إن إسماعيل عليه السلام هو أول من كساها ، ومنهم من قال : إنه عدنان بن أد الجد الأعلى للرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن الثابت أن تبع الحميري ملك اليمن ، هو أول من كساها بالخصف ، ويجمع بين الأقوال الثلاثة إن كانت ثابتة بأن إسماعيل أول من كساها مطلقا ، وأما تبع فأولى من كساها ما ذكر ، وأما عدنان فلعله أول من كساها بعد إسماعيل ، وبعد تبع كساها الكثيرون في الجاهلية ، وكان ذلك واجبا من الواجبات الدينية ، وكان مباحاً لمن أرد أن يكسو الكعبة المشرفة أن يكسوها متى شاء ، ومن أي نوع شاء. وكانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة المشرفة ، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب ، إلا أبو ربيعة بن عبد الله المخزومي الذي كان يكسوها سنة ، وجميع قريش تكسوها السنة التالية ، فسمته قريش العدل ، لأنه عدل فعله بفعل قريش كلها. وأول امرأة عربية كست الكعبة المشرفة هي نتيلة بنت جناب ، أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير والديباج.

وعندما تم فتح مكة المكرمة لم يغير رسول الله صلى الله عليه وسلم كسوة الكعبة حتى احترقت على يد امرأة أرادت تبخيرها ، فكساها الثياب اليمانية ، وبعد ذلك كساها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بكسوة سنوية تنسج من القباطي المصرية المصنوعة في مصر وينفق عليها من بيت مال المسلمين وكان يأمر بنزع الكسوة القديمة في كل سنة ويقسمها على الحجاج ، وسار الخليفة عثمان رضي الله عنه على نفس المنوال إلا أنه رأى أن تباع الكسوات القديمة وتنفق أثمانها في سبيل الله. وثبت أن معاوية بن أبي سفيان كان يكسو الكعبة مرتين سنوياً ، بالديباج يوم عاشوراء ، وبالقباطي في آخر شهر

رمضان ، ولكن لم يداوم على كسوتها الديباج ، فلما كساها الحجاج بأمر عبد الملك استمر ذلك ، فكأنه أول من داوم على كسوتها الديباج في كل سنة. واستمرت الكعبة المشرفة تكسى في كل سنة كسوتين ، كسوة ديباج ، وكسوة قباطي. وأن أول من كساها الديباج الأبيض المأمون بن الرشيد ، واستمر بعده. وكساها محمود بن سبكتكين ديباجا أصفر ، وكساها الناصر العباسي ديباجا أخضر ، ثم كساها ديباجا أسود ، فاستمر إلى الآن. وتنافس على كسوة الكعبة والتفنن فيه الخلفاء الأمويون والعباسيون ثم المماليك والأتراك.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه ، قالت : سألت عائشة أنكسو الكعبة ؟ قالت : الأمراء يكفونكم.

وقد كانت الكساوى توضع على الكعبة المشرفة بعضها فوق بعض ، فإذا ثقلت أو بليت أزيلت عنها ، وقسمت أو دفنت، ولما حج الخليفة العباسي المهدي سنة ١٦٠ هجرية ، شكا إليه السدنة أن ثياب الكعبة المشرفة قد أثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقل الكسوة فجردها حتى لم يبق عليها شيء من الكسوة ثم افرغ عليها ثلاث كساوي قباطي وخز وديباج وأمر بألا يسدل على الكعبة أكثر من كسوة واحدة واستمر ذلك إلى الآن.

وبعد زوال الدولة العباسية تقاسمت مصر واليمن شرف كسوة الكعبة المشرفة ، إلي أن انفردت بها مصر ، ولم تكن لترضى أن ينال أحد هذا الشرف سواها ، ولم تسمح بمحاولة كسوة الكعبة المشرفة ، سواء بالقوة والإجبار أو بالتفاهم والمسايسة من إي حاكم أو والي. وأوقف الملك الصالح إسماعيل بن الناصر بن قلاوون في ٧٥١ هجرية قرية من نواحي القاهرة ، يقال لها بيسوس ، كان اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال ، وقفاً خاصاً لكسوة الكعبة الخارجية السوداء مرة كل سنة ، وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة كل خمس سنوات ، ولم تزل تكسى من هذا الوقف إلى وقت الملك المؤيد ، فكساها من عنده سنة لضعف وقفها ، وضم السلطان العثماني سليمان بن سليم الأول سنة ٩٤٧ هجرية إلى هذا الوقف وقفية فيها عشرة قرى من قرى مصر.

واختصت مصر بكسوة الكعبة المشرفة الخارجية ، في حين انفرد العثمانيون بكسوة الكعبة المشرفة الداخلية ، وبقيت مصر تصنع الكسوتين كلها إلى عام ١١١٨ هجرية الموافق ١٧٠٦ م ، حيث أمر السلطان العثماني أحمد بن محمد بحياكة كسوة الكعبة الداخلية في إستامبول.

وخلال احتلال نابليون لمصر أرسل السلطان العثماني من تركيا ، كسوة الكعبة المشرفة عام ١٢١٦ هجرية الموافق ١٨٠١ م ، حتى لا تكسى من قبل المشيخة الفرنسية التي حكمت مصر ، التي أرادت أن تكسو كعبة الإسلام باسمها.
وأعاد أرسل كسوة الكعبة المشرفة من مصر ، الوالي محمد على عندما تولى حكم مصر ١٢٢٠ هجرية الموافق ١٨٠٥ م.

ولما دخل الأمام سعود الكبير آل سعود الحجاز ، كسى عام ١٢٢١ هجرية الموافق ١٨٠٦ م ، الكعبة المشرفة القز الأحمر ، ثم كساها في الأعوام الست التالية بالديباج ، والقيلان الأسود ، وجعل إزارها وكسوة بابها من الحرير الأحمر المطرز بالذهب والفضة.

وعادت مصر ترسل كسوة الكعبة المشرفة في شوال ١٢٢٨ هجرية الموافق ١٨١١ م.

مصنع كسوة الكعبة المشرفة :

وانتهى الأمر بأن تأسست دار كسوة الكعبة المشرفة في أول مصنع حكومي بمصر ، وهو مصنع الخرنفش للنسيج عام ١٢٣٣هجرية الموافق ١٨١٦ م ، بعد ما حل الخديوي محمد على الوقف الخاص بالكعبة المشرفة ، وجعل الكسوة تصنع على نفقة الحكومة المصرية ، وكان يتم تسيير الكسوة من مصر في محمل ، وعبارة عن محفة ذات قمة هرمية زينت بأبهى الزخارف ومغطاة بقماش حريري موشى بالذهب نقش على جانبيه آيات من القرآن تعلوه قبة فضية ، داخلها الكسوة والهدايا النقدية ، الصرة ، والعينية إلي الحرمين الشريفين ، وفي أكثر من جمل إن كثرت الهدايا ، وكما يزين البعير الذي يحمل الكسوة بأفخر الزينة ، وهو يصاحب الحجيج في قافلتهم.

صورة تبين المحمل في مكة المكرمة

الاحتفال بخروج المحمل وقافلة الحجاج في القاهرة

ويجب التفريق بين المحمل وكسوة الكعبة المشرفة ، فكسوة الكعبة يتم تسييرها في المحمل ، وليس كل محمل هو حاوي على الكسوة ، فهناك المحمل العراقي والشامي واليمني والتركي وغيرهم ، ولكن المحمل المصري هو الذي يصاحب الكسوة كل عام ، حيث كانت تخرج الكسوة في احتفال عظيم بحضور حاكم مصر أو نائبه ، فيسيرون بها من القلعة إلى مسجد الإمام الحسين إلى حين خروج المحمل وقافلة الحجاج.

وحصل كلما وقع خلاف بين الحكومة المصرية والحكومة التي كانت تتولى أمر الحجاز ، أن تمتنع الحكومة المصرية من إرسال الكسوة. وبعد أن تولي الملك عبد العزيز حكم الحجاز ، حصل في سنة ١٣٤٤هجرية الموافق ١٩٢٥ م ، حادثة المحمل المصري ، والذي كان من عادته أن يأتي من مصر مرافقاً بعسكر وفرقة موسيقية عسكرية مصرية ، وعندما دخل الموكب مكة المكرمة ، عارضه مجموعة من الإخوان ، وقذفوه بالحجارة محتجين على وجود الفرقة الموسيقية وبدلاً من الاستعانة بالحلم فتح الضابط المصري النار عليهم ، وأسفر ذلك عن وقوع قتلى وجرحى ، وعلم الملك عبد العزيز بذلك ، ففوض ابنيه سعوداً وفيصلاً على الفور لتهدئة الوضع قبل أن يتفاقم الأمر، وأخذت مصر موقفاً من هذا الحادث ، وقطعت علاقاتها ، وأوقفت الميرة ، وهي المساعدات والصدقات المقررة التي كانت تبعث سنوياً من مصر مع المحمل.

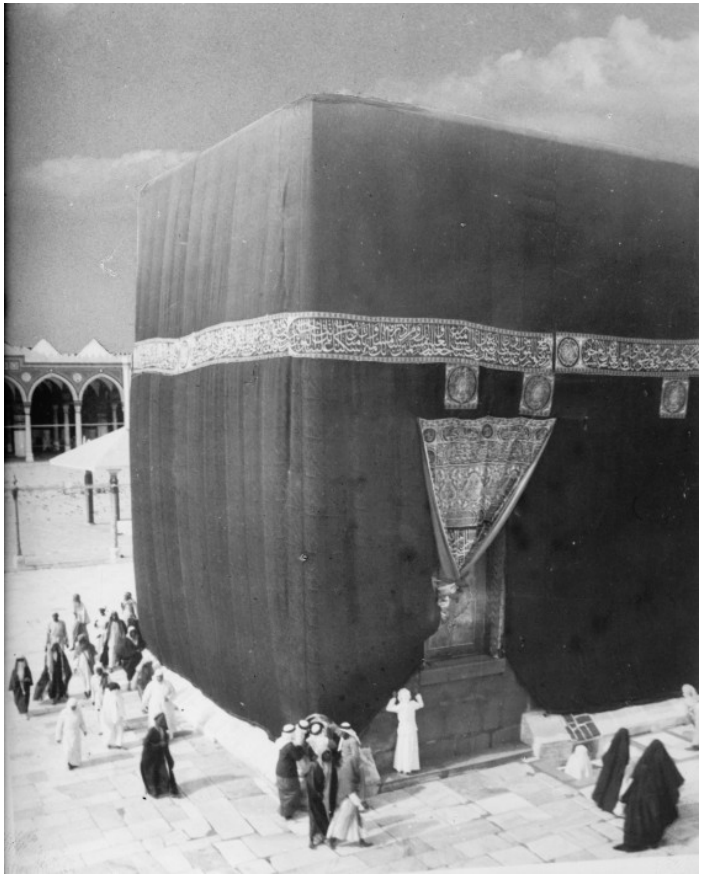

صورة تبين شكل كسوة الكعبة المشرفة عام ١٣٢٩ هجرية الموافق عام ١٩١٠ م

بعد حادثة المحمل امتنعت الحكومة المصرية ، من إرسال الكسوة ، ولم تشعر الحكومة السعودية بذلك إلا في غرة شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٥هجرية ، فصدرت أوامر الملك عبد العزيز بعمل الكسوة بغاية السرعة ، وعملت الكسوة من الجوخ الأسود الفاخر ، وعمل حزام الكعبة بآلة التطريز وكتبت عليه الآيات بالقصب الفضي المموه بالذهب الوهاج مع ستارة الباب ، ولم يأت الموعد المحدد لكسوة الكعبة إلا والكعبة المشرفة لابسة تلك الكسوة التي عملت في بضعة أيام. عند ذاك أصدر الملك عبد العزيز أمره في مستهل شهر المحرم ١٣٤٦هجرية الموافق يوليو ١٩٢٧ م ، بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ، وتم توفير كل ما يحتاج إليه العمل وافتتح مصنع كسوة الكعبة وبدأ إنتاج كسوة الكعبة المشرفة في منتصف العام نفسه ، وتوقف المصنع عن إنتاج وصنع ثوب الكعبة المشرفة عام ١٣٥٦هجرية الموافق ١٩٣٧ م ، عندما عادت الحكومة المصرية ترسل كسوة الكعبة المشرفة سنوياً ، وكانت أخر كسوة ترسلها الحكومة المصرية عام ١٣٨٠ هجرية الموافق ١٩٦١م ، عندما توترت العلاقات بين البلدين المملكة العربية السعودية والدولة مصرية.

وتقرر إعادة عمل الكسوة مرة أخرى في مكة المكرمة ، حيث تم فتح مصنع جديد لكسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك سعود ١٣٨٢هجرية الموافق ١٩٦٣ م ، ليصبح بهذا شرف كسوة الكعبة المشرفة منوطا بالمملكة العربية السعودية ، واستمر المصنع ينتج ثوب الكعبة المشرفة فيه ، حتى أصدر الملك فيصل في عام ١٣٩٢ هجرية الموافق ١٩٧٢ م ، أمره ببناء مصنع جديد في أم الجود وتم افتتاحه في عهد الملك خالد في ربيع الآخر سنة ١٣٩٧ هجرية الموافق مارس ١٩٧٧ م. واستمر التطوير بالمصنع يواكب التطور التقني ، سنة بعد سنة في عهد الملك فهد ، ليحقق إنتاج أفضل وأمتن وأجمل ثوب لكسوة الكعبة المشرفة. وفي عام ١٤١٤هجرية ، صدر الأمر بضم مصنع كسوة الكعبة المشرفة إلى الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

ومما يجدر الإشارة له ، أنه بعد كسوة الكعبة المشرفة بالكسوة الجديدة فإن الكسوة القديمة كانت تقسم سابقاً كالتالي ، أمراء مكة كانوا يأخذون ستارة باب الكعبة والحزام وثوب مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وآل الشيبي يأخذون كسوة الكعبة ، وستارة باب التوبة ، الباب الداخلي في الكعبة المشرفة ، وستارة باب مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، حتى جاء عهد الملك عبد العزيز ، الذي أنعم على آل الشيبي بجميع كسوة الكعبة ، من ستارة وحزام وغير ذلك ، سواء حال مجيء الكسوة من مصر ، أو التي تم صنعها في مكة المكرمة ، وصارت الكسوة حقا من حقوق آل الشيبي يتصرفون فيها كيف شاءوا ، وتقسم بين آل الشيبي فكلهم فيها سواء ، الشيخ والشاب والطفل ، والذكر والأنثى ، تقسم بينهم بالسوية ما عدا رئيسهم صاحب المفتاح فله سهمان ، وذلك باتفاقهم جميعا ، وهذه قاعدتهم من قديم الزمان إلى العصر الحاضر. ويحق لهم التصرف بالكسوة بالإهداء أو البيع على السواء.

مكونات الكسوة :

تصنع كسوة الكعبة المشرفة من الحرير الطبيعي المصبوغ باللون الأسود وتتكون من خمس قطع تغطي كل قطعة وجها من أوجه الكعبة ، أما الخامسة فهي الستارة التي توضع على باب الكعبة ويتم توصيل القطع الأربع مع بعضها البعض.

مراحل تصنيع الكسوة :

وتمر صناعة كسوة الكعبة المشرفة بعدة مراحل : مرحلة الصباغة ، ويتم فيها صباغة الحرير الخام المستورد على هيئة شلل بالألوان الأسود أو الأحمر أو الأخضر. أما مرحلة النسيج ، فيتم فيها تحويل هذه الشلل إلى قماش حرير سادة ليطبع ثم يطرز عليه الحزام أو الستارة أو إلى قماش حرير جاكارد وهو المكون لقماش الكسوة. وفي مرحلة الطباعة ، تطبع جميع الخطوط والزخارف الموجودة بالحزام أو الستارة على القماش بطريقة السلك سكرين وذلك تمهيداً لتطريزها.

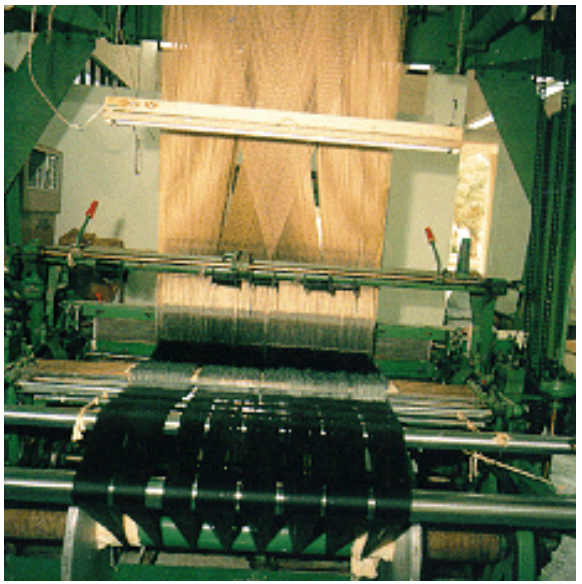

وفي المرحلة قبل النهائية ، يتم تطريز الخطوط والزخارف تطريزاً يدوياً بأسلاك الفضة والذهب. وفي مرحلة التجميع النهائية يتم تجميع قماش الجاكارد ليشكل جوانب الكسوة الأربعة ثم تثبت عليه قطع الحزام والستارة تمهيداً لتركيبها. ويستهلك الثوب الواحد ٤٥٠ كيلو جراما من الحرير فيما تبلغ مساحة مسطح الثوب ٦٥٨ متراً مربعاً ، وتتألف القطع المذهبة المثبتة على الثوب والحزام من ١٦ قطعة يبلغ مجموع أطوالها ما يقارب ٤٧ متراً.

ويتكون الثوب من ٤٧ طاقة قماش ، طول الواحدة ١٤ متراً بعرض ٩٥ سنتيمترا ، وتبلغ تكاليف الثوب الواحد حوالي ١٧ مليون ريال سعودي ، تشمل تكلفة الخامات وأجور العاملين والإداريين وكل ما يلزم الثوب.

ويبلغ ارتفاع الثوب ١٤ متراً ، ويوجد في الثلث الأعلى من هذا الارتفاع حزام الكسوة بعرض ٩٥ سنتيمتراً ، وهو مكتوب عليه بعض الآيات القرآنية ومحاط بإطارين من الزخارف الإسلامية ومطرز بتطريز بارز مغطى بسلك فضي مطلي بالذهب ، ويبلغ طول الحزام ٤٧ متراً ، ويتكون من ١٦ قطعة ، وتوجد بالثوب تحت الحزام ٤ قطع صمدية (سورة الإخلاص) توضع على الأركان مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية.
كما توجد ٦ قطع تحت الحزام مكتوب بها آيات قرآنية كل منها داخل إطار منفصل ، وفي الفواصل بينها يوجد ١٤ قنديلاً بين أضلاع الكعبة مكتوب فيها (يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم والحمد لله).

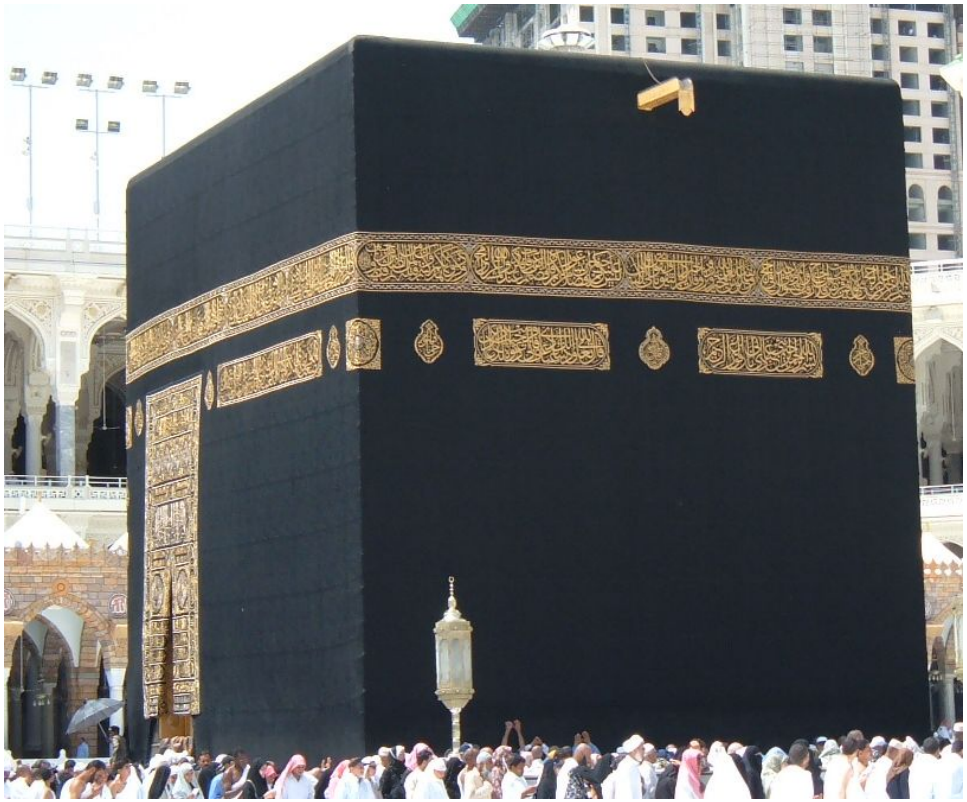
صورة تبين شكل كسوة الكعبة المشرفة حالياً

كما تشتمل الكسوة على ستارة باب الكعبة المصنوعة من الحرير الطبيعي الخالص والتي يطلق عليها اسم البرقع ، ويبلغ ارتفاعها سبعة أمتار ونصف المتر وبعرض أربعة أمتار ، مكتوب عليها آيات قرآنية وزخارف إسلامية ومطرزة تطريزاً بارزاً مغطى بأسلاك الفضة المطلية بالذهب ، وتبطن الكسوة بقماش خام ، وعلى الرغم من استخدام أسلوب الميكنة فإن الإنتاج اليدوي ما زال يحظى بالإتقان والجمال الباهر إذ يتفوق في الدقة والإتقان واللمسات الفنية المرهفة والخطوط الإسلامية الرائعة.

وستارة باب الكعبة المشرفة وستارة باب التوبة الداخلي هما من أكثر قطع الكسوة المشرفة احتفاء بالآيات قرآنية والزخارف النباتية والهندسية والخطية ، وتأخذ هذه الآيات أشكال دائرية وبيضاوية علي هيئة القنديل أو ثمرة الكمثري ، وفي الجزء السفلي من الستارة باب الكعبة ما يسمي بالقائم الكبير والذي به فتحة باب الكعبة لكي يبعد باقي الزخارف الكتابية عن مستوي الأرض بأكبر مسافة ممكنة ، وفيه أيضا يتم ذكر تاريخ الصنع والإهداء وفي عهد من تم صنع الكسوة.

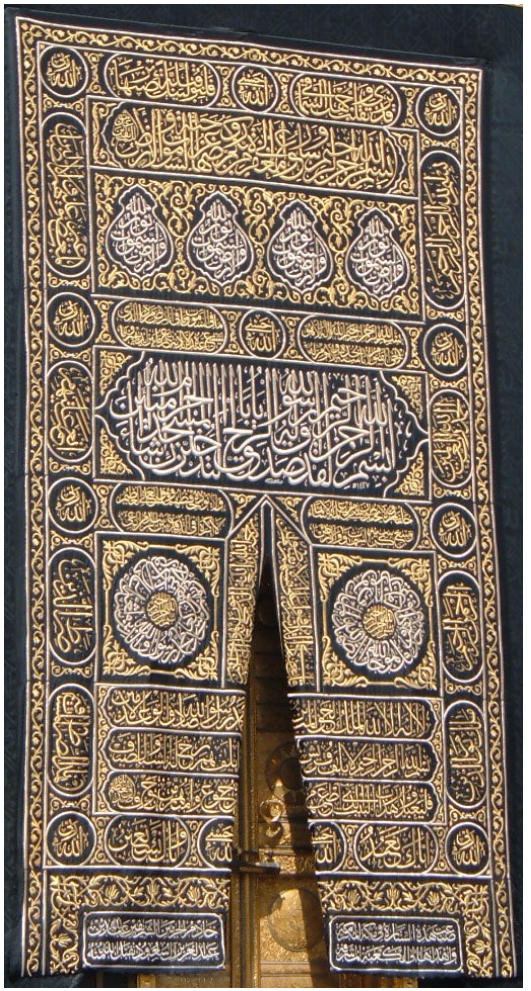

ستارة حديثة لباب الكعبة المشرفة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

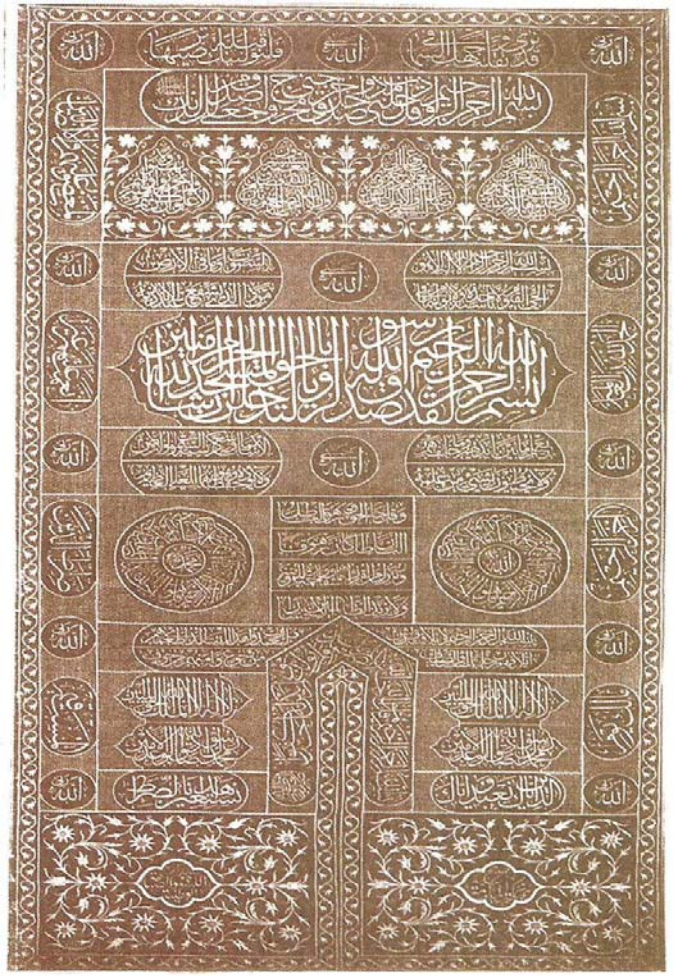

ستارة باب الكعبة المشرفة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود صنعت في دار الكسوة بمكة المكرمة سنة ١٣٥٦ هجرية الموافق ١٩٣٧ م

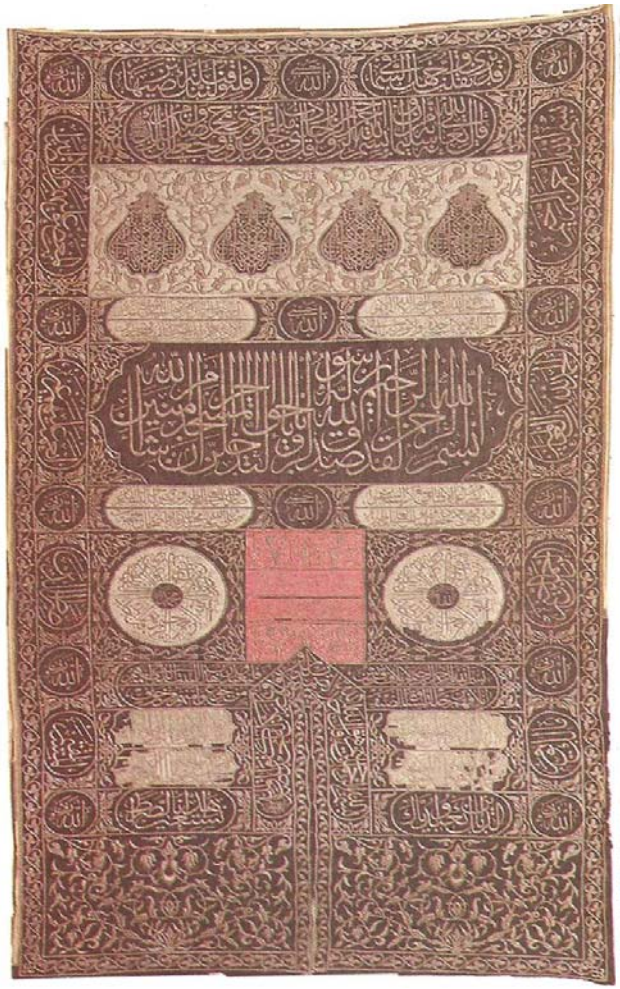

ستارة باب الكعبة المشرفة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود والملك فاروق الأول صنعت في مصر سنة ١٣٥٨ هجرية الموافق ١٩٣٩ م

غسيل الكعبة المشرفة :

تستبدل الكعبة المشرفة ثوبها مرة واحدة كل عام فيما يتم غسلها مرتين سنوياً ، الأولى في شهر شعبان والثانية في شهر ذي الحجة.

ذكر نجل كبير سدنة البيت العتيق الشيخ نزار بن عبد العزيز بن عبد الله آل الشيبي ، أن الملك عبد العزيز آل سعود كان يتولى أمر غسيل الكعبة المشرفة بنفسه كل عام. وقام أبناؤه من بعده بتولي شرف هذه المهمة ، ابتداء من الملك سعود ، ثم الملك فيصل الذي لم يتغيب عن غسل الكعبة المشرفة طوال فترة حكمه ، فالملك خالد ، ثم الملك فهد الذي قام بغسل الكعبة المشرفة في السنوات الأولى من حكمه ، ثم أناب عنه أمير منطقة مكة المكرمة في غسيل الكعبة المشرفة. وفي عهد الملك عبد الله يحفظه الله بادر بغسل الكعبة المشرفة بيده الكريمة.

وتمر مراسم غسل الكعبة المشرفة بعدة مراحل تبدأ بعد الطواف سبعة أشواط حول الكعبة المشرفة ، واستلام الحجر الأسود ، ثم أداء ركعتي الطواف ، ثم يتقدم سادن البيت العتيق حاملا كيسا أخضر منقوشا عليه (خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم) ليخرج مفتاح باب الكعبة المشرفة ليشرع الباب لخادم الحرمين الشريفين ليكون أول الداخلين إلى البيت العتيق.

يبادر الملك أولا بالصلاة في داخل الكعبة المشرفة وعادة ما يصلى فوق لوح من الرخام المنقوش بعلامة ظاهرة إشارة إلى المكان الثابت فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي فيه ، وهذا اللوح باتجاه الحائط الجنوبي بالقرب من الركن اليماني إلى الداخل من جدار الكعبة المشرفة ، بعدها تعد أوان وجفان كبيرة مملوءة بماء زمزم والمخلوط بدهن عطر الورد الطائفي ، وتحضر المقشات المصنوعة من سعف النخيل والمساحات الخشبية ، ولفائف كثيرة من القماش والمناديل البيضاء لتبدأ مراسم الغسيل بعد أن يخرج الضيوف من جوف الكعبة المشرفة.

ويبدأ الغسيل بغسل أرضيتها المكسوة بالرخام ، وتتزاحم الأيدي بتدليك جدران الكعبة المشرفة الأربعة من الداخل بقطع القماش المبلل بماء زمزم المخلوط بالورد بارتفاع متر ونصف المتر، وبعد الفراغ من عملية الغسيل يتم تجفيف ما علق فيها من ماء بقماش ومناديل جديدة ثم يبادر الجميع بدهن جدرانها بكميات كبيرة من دهن العود المعتق، ودهن الورد الطائفي، يتبعهم حاملو المباخر بأنفس أنواع البخور من خشب العود لتنتهي مراسم الغسيل بعد أن شارك الجميع في شرف خدمة وتطهير البيت إقتداء بالرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامتثالا لأمر الله تعالى في الآية الكريمة { أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }.

تلبيس الكسوة :

تكتسي الكعبة المشرفة في التاسع من ذي الحجة ثوبها الجديد ، لتزدان به بدلاً من الثوب القديم وهي عادة تتم كل عام ، ويتم ذلك من خلال احتفال إسلامي كبير تنظمه الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين يحضره الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وكبير سدنة المسجد الحرام وعدد من المسؤولين.

وتبدأ مراسم تغيير الكسوة عقب صلاة العصر حيث يبتدر المشاركون في عملية استبدال الكسوة عبر سلم كهربائي بتثبيت قطع الثوب الجديد على واجهات الكعبة المشرفة الأربعة على التوالي فوق الثوب القديم.

ويتم تثبيت القطع في عُرى معدنية خاصة ٤٧ عروة مثبتة في سطح الكعبة المشرفة ليتم فك حبال الثوب القديم ليقع تحت الثوب الجديد نظراً لكراهية ترك واجهات الكعبة المشرفة مكشوفة بلا ساتر.

ويتولى الفنيون في مصنع الكسوة عملية تشبيك قطع الثوب جانبا مع الآخر، إضافة إلى تثبيت قطع الحزام فوق الكسوة ١٦ قطعة جميع أطوالها نحو ٢٧ متراً و٦ قطع تحت الحزام ، وقطعة مكتوب عليها عبارات تؤرخ إهداء خادم الحرمين الشريفين لثوب الكعبة المشرفة وسنة الصنع.

ومن ثم تثبت ٤ قطع صمدية {قُلْ هُوَ اللَّه أحَد اللَّه الصَّمَد} توضع على الأركان ، و١١ قطعة على شكل قناديل مكتوب عليها آيات قرآنية توضع بين أضلاع الكعبة المشرفة الأربعة.

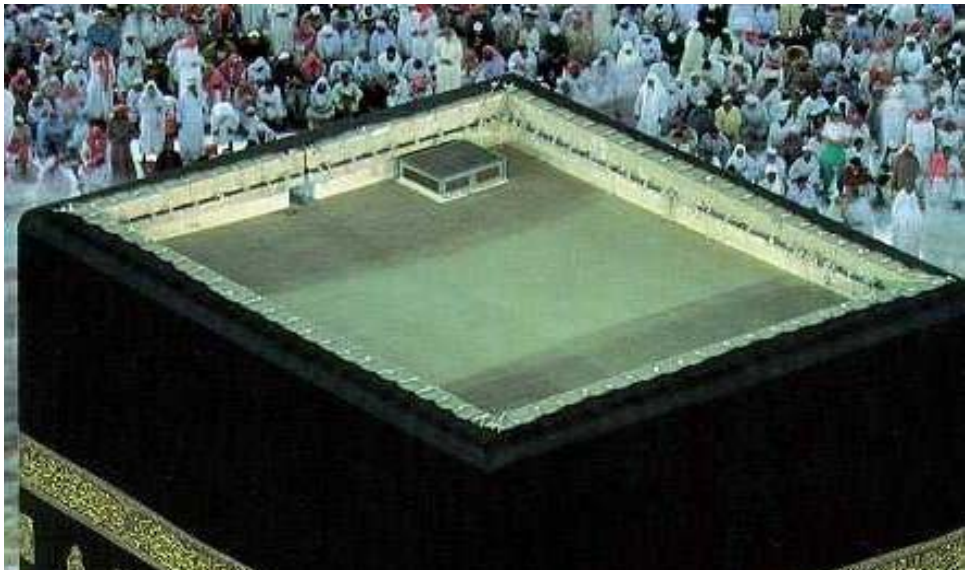

وآخر قطعة يتم تركيبها هي ستارة باب الكعبة المشرفة وهي أصعب مراحل تغيير الكسوة.

وبعد الانتهاء من تلبيس الكسوة ، تتم عملية رفع ثوب الكعبة المشرفة المبطن بقطع متينة من القماش الأبيض وبارتفاع نحو مترين من شاذروان ، القاعدة الرخامية للكعبة المشرفة ، وهذه العملية تعرف باسم إحرام الكعبة المشرفة ، وتتم لكي لا يقوم الحجاج والمعتمرون بقطع ثوب الكعبة المشرفة بالأمواس والمقصات الحادة ، للحصول منه على قطع صغيرة طلباً للبركة ، وكذكرى لحجتهم لبيت الله العتيق.

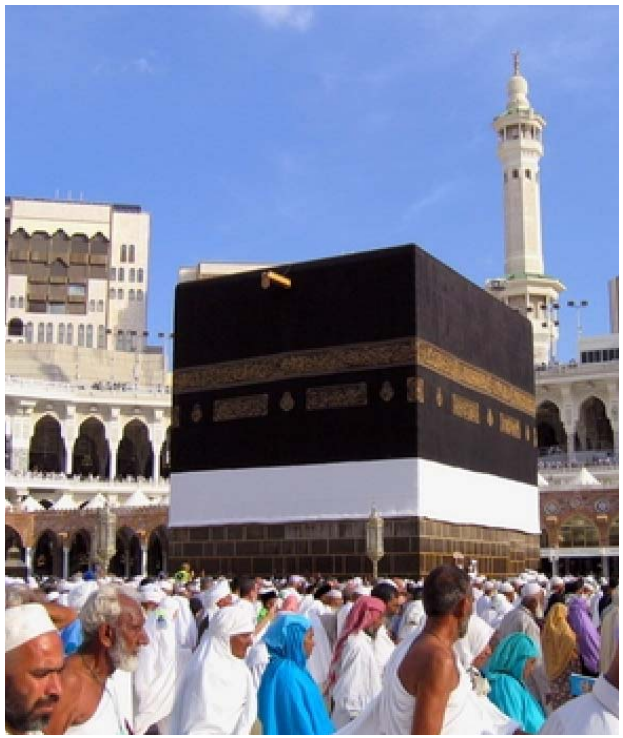

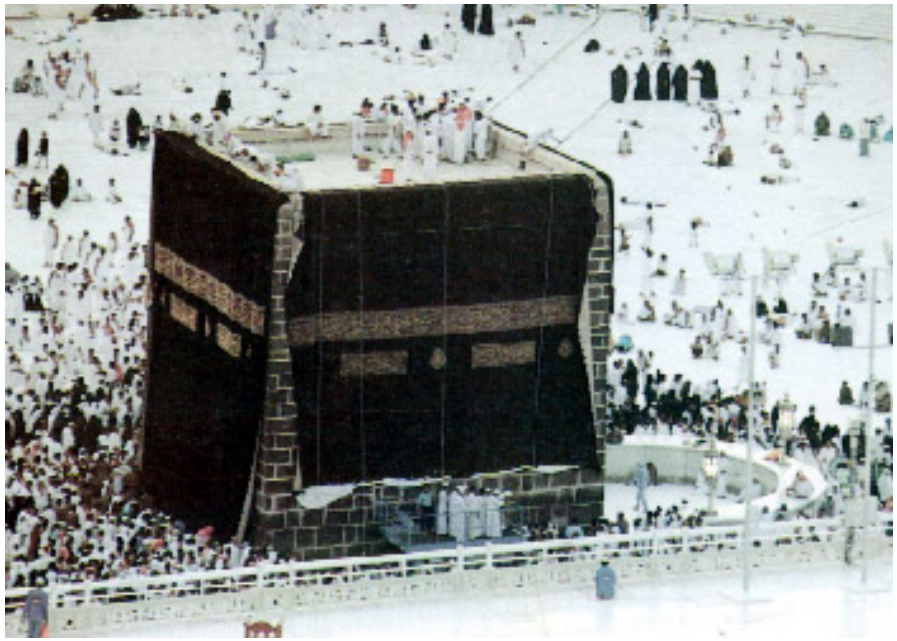

نلاحظ في الصورة أن عدد صفوف الحجارة التي بنيت بها الكعبة المشرفة أو التي تسمى المداميك هو ٢٦ صفاً من أرض المطاف إلى أعلى السطح

وأن المدماك الخامس عشر رفيع جداً ويشير لبناء قريش

كما يلاحظ أن المدماك ٢١ فيه ثلاث فتحات للعوارض الخشبية الضخمة الثلاث التي يقوم عليها السقف السفلي للكعبة المشرفة

والممتد من الجدار الغربي إلى الجدار الشرقي الذي به باب الكعبة المشرفة

صورة ملتقطة للكعبة المشرفة في وقت الاستعدادات لوضع الثوب الجديد عليها.

القبلة والكعبة المشرفة :

إن المسلمين حين يتجهون إلى القبلة فإنما يتوجهون نحو التميز ، فالقبلة رمز للوحدة والتوحيد ، ورمز لتميز الشخص المسلم ، وحد الله هذه الأمة في ربها ونبيها ودينها وقبلتها ، وحدها على اختلاف أوطانها وأجناسها وألوانها ولغاتها ، وحدة قيامها العقيدة والقبلة ، جاء في الحديث الصحيح (من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا فذلك المسلم) مخرج في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه.

ومن المعلوم أن اتجاه القبلة هو اتجاه للكعبة المشرفة ، وهو أمر يحتاجه كل مسلم ، ليعرف اتجاه القبلة في المكان الذي يتواجد فيه ، حتى يستقبلها ، أي يتجه نحوها وذلك تنفيذًا لقوله تعالى : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهُ }.

وأن استقبال القبلة شرط لصحة الصلاة ، ولا فرق بين الفريضة والنافلة. ويتم تحديد القبلة حسب موقع المصلي :

- فالمصلون داخل المسجد الحرام مطالبون باستقبال الكعبة المشرفة ذاتها في الصلاة ، بحيث يلتفون حولها حلقاً ويحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم
- وأهل مكة المكرمة مطالبون بالاتجاه صوب المسجد الحرام
- أما من صلى خارج البيت الحرام في أي مكان فيجب عليه ، أن يتجه نحو جهة مكة المكرمة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (ما بين المشرق والمغرب قبلة) رواه الترمذي ، وهذا بالنسبة لأهل المدينة.

والجهات معروف أنها أربع : الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فإذا كان الإنسان عن الكعبة شرقا أو غربا كانت القبلة في حقه ما بين الشمال والجنوب ، وإذا كان عن الكعبة شمالا أو جنوبا صارت القبلة في حقه ما بين المشرق والمغرب لأن الواجب استقبال الجهة

وعلى المصلي أن يحرص على تحري القبلة ولاسيما إذا كان مسافراً بسؤاله لأهل البلاد التي يمر عليها ، فإن كان في البر أو على طريق ولم يجد من يسأله أو لم ير مسجداً يستنير بقبلته أو محرابه نحو القبلة ، اجتهد وذلك بمعرفة الجهات وتتبع منازل الشمس والقمر وحركتهما أو باستعمال الأجهزة الحديثة المحددة للمواقع والجهات.

ومن صلى باجتهاده إلى جهة ثم بان له أنه صلى إلى غير جهة الكعبة المشرفة يقيناً ، لم تلزمه الإعادة ومن علم يقيناً جهة القبلة وهو في الصلاة استدار جهة الكعبة المشرفة ، وأتم صلاته لأن ما مضى يعد صحيحاً أداه باجتهاده.

الموقع الجغرافي للكعبة المشرفة :

تقع الكعبة المشرفة في

دائرة عرض ٢١ درجة و٢٥ دقيقة و٢١,٠٧ ثانية شمالاً

وخط طول ٣٩ درجة و٤٩ دقيقة و٣٤,٣٦ ثانية شرقاً

N 21° 25´ 21.07˝
E 039° 49´ 34.36˝

والمرجع الأفقي هو WGS84

اتجاه الكعبة المشرفة باستخدام ظاهرة تعامد الشمس :

ويمكن تحديد اتجاه الكعبة المشرفة بعد طرق ، منها باستخدام ظاهرة تعامد الشمس على الكعبة الشريفة ، فعندما تتعامد الشمس على مكة المكرمة يكون اتجاهها في هذه اللحظة هو اتجاه القبلة ، والشمس تتعامد على الكعبة الشريفة مرتين سنوياً ، وذلك حينما يكون ميل الشمس مساوياً لخط عرض الكعبة الشريفة ، وأثناء مرورها الزوالي فوق الكعبة الشريفة (لحظة أذان الظهر بمكة المكرمة) ، ويكون ارتفاع الشمس ٩٠ درجة في تلك اللحظة للراصد الموجود بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ، وباستعمال التوقيت المحلي للمملكة العربية السعودية

أولاً : في يوم ٢٨ مايو في الساعة ١٢ ظهراً و١٧ دقيقة و٥٢،٨ ثانية
ثانياً : في يوم ١٥ يوليو في الساعة ١٢ ظهرًا و٢٦ دقيقة و٤٠،٨ ثانية

في هذين اليومين ستكون الشمس مرئية بالنسبة لجميع سكان قارة أفريقيا وأوروبا وآسيا شرقاً حتى الفلبين والجزء الشمالي الغربي من قارة أستراليا ، وكل من يراها في تلك اللحظة المذكورة مرتفعة عالياً ، فإنه سيكون مستقبلاً للقبلة بإذن الله تعالى ، حيث تشير ظلال جميع الأعمدة في أي مكان مشمس مما سبق ذكره إلى جهة الكعبة المشرفة (أعمدة الكهرباء ، الهاتف ، الحبال المعلقة بأثقال - وذلك بعقد حبلاً يتدلى إلى أسفل ومربوط بثقل في أسفله بحيث لا يلامس الأرض حيث أن هذا يؤدي وظيفة العمود لأنه يتعامد على الأرض) ، وبذلك يمكن لكل مسلم أن يتأكد من اتجاه القبلة بالنسبة له.

هدم الكعبة المشرفة في آخر الزمان :

في آخر الزمان قبل قيام الساعة مباشرة يقبض الله أرواح المؤمنين ، ولا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق ، ولا تكون هناك صلاة ولا صيام ولا حج ولا صدقة ، وعليه لا تكون هنالك فائدة من وجود الكعبة المشرفة ولا بقاء للقرآن الكريم ، فيقدر الله عز وجل خراب الكعبة المشرفة على يد كافر من الحبشة.

روى البخاري في صحيحه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة).

ويرفع الله عز وجل القرآن من الأرض فلا تبقى منه آية في المصاحف والصدور ، والله يغار أن يبقى كتابه في الأرض بلا فائدة ولا يعمل به ، روى الطبراني في المعجم الكبير وصححه الألباني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (لينزعن هذا القرآن من بين أظهركم ، قيل له : يا أبا عبد الرحمن : كيف ينتزع وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا ؟ قال : يسرَى عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد ولا مصحف منه شيء ، ويصبح الناس كالبهائم) ، ثم قرأ قول الله تعالى : { ولئن شئنا لَنَذْهَبَنَّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً }.

وروى الأمام أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها ، ولكأني أنظر إليه أصيلع ، أفيدغ ، يضرب عليها بمسحاته ومعوله). وقد ذكر في شرح هذا الحديث الحافظ ابن حجر أن هذا الفعل لا يقع إلا في آخر الزمان ، قرب قيام الساعة ، حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله ، الله.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (استمتعوا من هذا البيت ، فإنه قد هدم مرتين ، ويرفع في الثالثة) ، حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ولا يعمر البيت بعد هدمه أبدا ، عن سعيد بن سمعان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه ، يحدث أبا قتادة رضي الله عنه ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يبايع لرجل ما بين الركن والمقام ، ولن يستحل البيت إلا أهله ، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه) ، **رواه أحمد**.

هذه الأحاديث لا تتناقض مع حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم) قالت : قلت يا رسول الله ، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال : (يخسف بأولهم وآخرهم ، ثم يبعثون على نياتهم) متفق عليه. يقول ابن حجر إن في هذا الحديث إشارة إلى أن غزو الكعبة المشرفة سيقع ، فمرة يهلكهم الله قبل الوصول إليها ، وأخرى يمكنهم. والظاهر أن غزو الذين يخربون متأخر عن الأولين.

المراجع

الكتب الورقية

- كتاب تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدنتها ، تأليف حسين بن عبد الله باسلامة
- كسوة الكعبة المشرفة في عصر الملك عبد العزيز آل سعود ، تأليف الشيخ محمد بن حسين الموجان
- تاريخ مكة المكرمة ، إعداد جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري
- مكة في ثوبها الذهبي ، تأليف الشريف محمد بن مساعد الحسني
- بناء الكعبة البيت الحرام ، تأليف أحمد بن على الشافعي ، دراسة وتحقيق د. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف ، تأليف د. فوزية حسين مطر
- مجلة البحوث الفقهية المعاصرة - العدد الثالث والخمسون
- الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة - دارة الملك عبد العزيز
- الكعبة المشرفة - دراسة أثرية لمجموعة أقفالها ومفاتيحها المحفوظة في متحف طوب قابي باستانبول

الكتب الالكترونية (بالزر الأيمن وحفظ)

- كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجّاج ، تأليف إبراهيم حلمي
http://www.athagafy.net/books/Kesout_Al_Kabah.zip
- تاريخ الكعبة ، تأليف د. على حسني الخربوطلي
http://www.athagafy.net/books/Tarekh_Al_Kabah.zip
- الرسول صلى الله عليه وسلم حول الكعبة ، تأليف د. محمد المسير
http://www.athagafy.net/books/Al_Rasoul_Hol_Al_Kabah.zip
- الكعبة المشرفة ، تأليف أمينة الصاوي
http://www.athagafy.net/books/Al_Kabah_Al_Mosharafah.zip
- تاريخ مكة المكرمة - الكعبة المشرفة - القدس المبارك ،تأليف محمد محمود صلاح
http://www.athagafy.net/books/Tarekh_Makkah_Al_Kabah.zip
- التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام ، تأليف عبد القدوس الأنصاري
http://www.athagafy.net/books/Tarekh_Al_Kabah_Al_Mosharafah.zip

مواقع الشبكة

- موقع الحج والعمرة
http://www.tohajj.com/default.asp
- مجلة البحوث الإسلامية ، بحث اللجنة في كسوة الكعبة المشرفة
http://www.alifta.com/Fatawa/FatawaDetails.aspx?View=Page&PageID=7662&PageNo=1&BookID=2&#P21
- موقع الشيخ عبد الملك بن دهيش
http://www.bin-dehish.com/index.php
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
http://www.elnaggarzr.com/index.php?l=ar&id=11&cat=39
- بيرتون وصورة المدينة في رحلته (قصة إسلامه)
http://al-madinah.org/magazine/issue14+15/003.doc
- قبلة المسلمين
http://www.al-jazirah.com.sa/114425/ar5.htm
- عمارة الكعبة المشرفة عبر العصور
http://www.islamonline.net/arabic/Hajj/Antique/1425/22.shtml
- المسجد الحرام
http://www.makkawi.com/kaba1.htm
- الكعبة المشرفة دراسة تحليلية للخصائص التصميمية
http://www.55a.net/firas/arabic/print_details.php?page=show_det&id=1409
- خطبة جمعة من المسجد الحرام للشيخ بن حميد بعنوان قبلة المسلمين
http://www.khotab.net/Makkah/Makkah21-12-1421.htm

- The Holy Ka'bah information center
http://www.kabahinfo.net/index.htm

- والكثير من المواقع التي يطول سردها تم منها إنزال عشرات الصور وأستخدم بعضها في هذا الكتاب أو المواقع التي تم الرجوع لها من أجل معلومة أو خبر فجزا الله أصحابها خير الجزاء